

1











٢٠٢٠

2



س

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

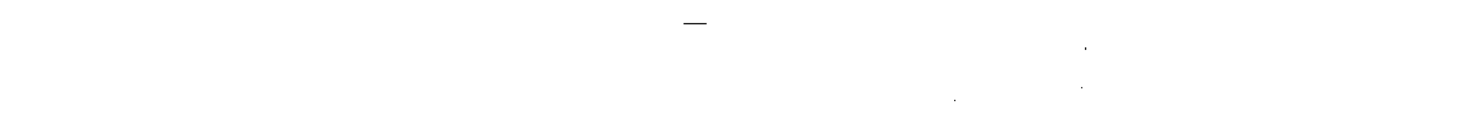
.

.

.

.

.





-

1

7

■

■

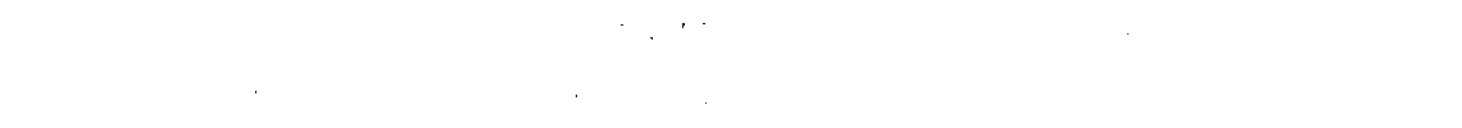
■



Y

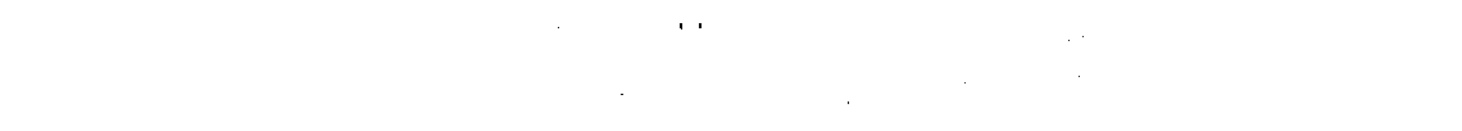








۱۲



-

1

2

1

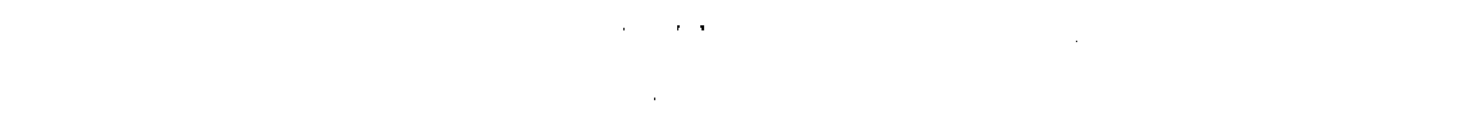
1

۱۶

■

■

|| / \



22

Y 3

10

1

2

3

4

74

1

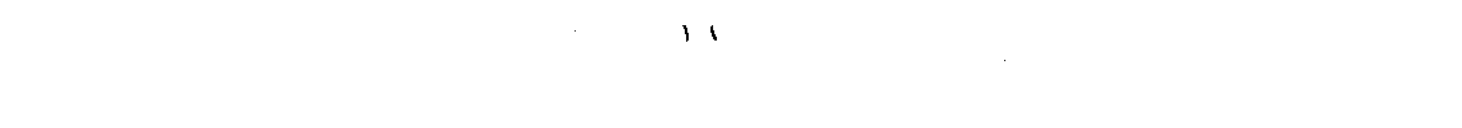
2

1

1

1

1



أحدهم^(١):

أعابن تسبيحي بنور جنائي فيشهد مني ألف ألف لسان
وكل لسان أجتلي من لغاته إذا ألف ألف من غريب أغان
ويهدى إلى سمعي بكل لسغة هدى ألف ألف من شتيت معاني
وفي كل معنى ألف ألف عجيبة يقصّر عن إحصائها الثقلان
ولم أذكر الأعداد إلا نموذجاً كأني في أوصاف ميططران
وإلا ففوق العدّ أمر منزّه عن الحد يفنسى دونه الملوان
ولا تتعجب إن عجبت فإنها حقائق صدق ليس بالهذيان^(٢)

فإن من أخلص عبادته لله العليّ القدير، يحس من أعماق نفسه أن كل ما ينطوي عليه جسمه يتجاوب معه في تسبيحه لله سبحانه وتعالى، لأن هذه هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها، أما إذا أشرك بالله شيئاً فإنه يحرم من هذا الخير ويحال بينه وبين هذا الانسجام، ولذلك فإن الحائدين عن منهج الله يشعرون باضطراب النفس وعدم الاستقرار وتتأوبهم الأمراض العصبية والنفسية نتيجة لذلك^(٣).

فمن أجل الحصول على هذا الانسجام والتوافق واتقاء شر الصراع والاضطراب بين حركة العبد منا وحركة هذا الكون الواسع الأرجاء المترامي الأطراف علينا إخلاص التوحيد لله عز وجل، وأن نفرد بالعبادة ولا نشرك فيها أحداً من خلقه، فلا نشرك فيها هوى نفوسنا ولا هوى أحد غيرنا.

(١) هو الشيخ سعيد بن خلفان بن أحمد الخليلي، أحد أهم علماء عمان في القرن الثالث عشر الهجري، من كتبه (تمهيد قواعد الإيمان)، توفي شهيداً سنة ١٢٨٧هـ، ١٨٧٠م. (مجموعة باحثين، دليل أعلام عمان ص ٧٩).

(٢) الخليلي محمد بن عبدالله، الفتح الجليل من أجوبة الإمام أبي خليل ص ٧٨٤.

(٣) الخليلي، العبادة وأثرها في حياة المسلم ص ١٨.

(٢) القلق:

القلق في اللغة الاضطراب والانزعاج وعدم الاستقرار، وفي علم النفس (هو شعور مختلط من الرهبة والفرع بخصوص المستقبل دون سبب محدد لهذا الخوف)^(١).

هذا المرض جاوزت ضحاياه ضحايا الأمراض الشائعة كالسرطان، وفي بلدان تنعم بكل ما يبتغيه الإنسان ويحلم به من وسائل التمتع والراحة المادية، ولنعرف كيف تتم الوقاية من هذا الداء الدوي؟ لا بد من كشف أسبابه ليتضح بجلاء دور الإيمان بالله في تكوين سد منيع دونه:

- أ - مصدر الهم والقلق هو استشعار الإنسان ضعفه أمام أحداث الحياة، ولكن الإيمان بالله الذي له التصرف في هذا الكون، والاعتماد عليه، يلقي في نفس الإنسان طمأنينة وقوة تتضاءل أمامها هموم الحياة بحيث يراها شيئاً تافهاً^(٢).
- ب - (يرجع القلق إلى انحسار دوافع الإيمان وضعف فاعليته في نفس الإنسان الذي يتجه في هذا العصر اتجاهها مادياً، ففي المجتمعات الكافرة غدت المادة هي الهدف الأساس للفرد، ومع هذا الاتجاه المادي ينتشر القلق ويعظم خطره، فالماديون قلقون دائماً، قلقون في حالة الغنى والفقر، أما قلقهم في حالة الغنى فلأنهم لا يقنعون بل يطلبون المزيد بما يستهوي نفوسهم وتلتذ به، وأما قلقهم في حالة الفقر فلمزيد إلحاحهم في الطلب والسعي لتحقيق رغباتهم التي لا يجدون سبيلاً لتحقيقها)^(٣)، وقد سرت عدوى القلق في المجتمعات الإسلامية، بسبب ما استقبلته هذه المجتمعات من رفات الحضارة الغربية التي تكفل الإعلام بنشرها، وفسحت الأنظمة السياسية لها المجال في بلداننا الإسلامية.

(٣) الاكتئاب:

أحد أهم الأمراض والاضطرابات النفسية التي يشيع انتشارها هذه الأيام، وهو من الأمراض النفسية الوظيفية، ومعنى ذلك أنه لا يرجع إلى علة في جسم الإنسان

(١) فاخر عاقل، معجم العلوم النفسية ص ٣٣.

(٢) طبارة عفيف عبد الفتاح، روح الدين الإسلامي ص ١٧٧.

(٣) الزعبلوي محمد السيد محمد، تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس ص ٤٧٥.

أو جهازه العصبي، وإنما ينشأ هذا المرض من تعرض الفرد لمواقف الفشل والإحباط والكبت والقمع حيث تسود الدنيا في عينيه، ويغلبه التشاؤم، وتهبط معنوياته، ويغمره الحزن، ويفقد الرغبة في متع الحياة من طعام، أو شراب أو تسلية أو غير ذلك من المتع التي أحلها الله للإنسان^(١).

وقد يسيطر عليه التفكير في الموت فيتمناه، ويراه خيرا من حياة خالية من السعادة، وربما فكر في الانتحار تفكيراً جدياً وقد يقتل نفسه بيده، وتضعف ثقة المكتئب بنفسه فيصير مترددا لا يجرؤ على اتخاذ القرارات خشية أن يقع في الخطأ، ويغمره إحساس بالذنب ولوم لنفسه لا تستحقه، ويكي لأبسط الأمور وتضعف قواه البدنية كما يضعف تركيزه الذهني وذاكرته، ويصبح نومه قليلا مضطربا... انه باختصار إنسان بائس حزين يائس^(٢).

يقول أحد الأطباء النفسيين^(٣): (وقد وجدنا أعراض هذا النوع من الانهيار النفسي خفيفة عند المؤمن الصادق، فاليأس من الحياة وأقصى درجاته محاولة الانتحار، لا وجود له عنده، لأنه لا يخشى بخسا ولا رهقا من كل المصائب والبلايا التي تحل به في هذه الدنيا، شرط أن يعقل معنى المصيبة في المفهوم القرآني مصداقا لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾^(٤)).

كما يكون الاكتئاب النفسي في أكثر الأحيان رد فعل على خسارة مادية أو معنوية تعرض لها الإنسان، كمن يكتئب بعد خسارة مالية أو بعد فقد عزيز بالموت أو السفر، أو بانفصام العلاقة معه، أو بعد فقد عضو من أعضاء البدن، أو بعد فقد القدر والمكانة نتيجة مصائب الحياة، وفي هذا النوع من الاكتئاب النفسي الذي يسميه الأطباء النفسيون (الاكتئاب التفاعلي) تعظم أهمية المنظور الذي ينظر الإنسان من خلاله إلى الحياة وما فيها، ويبرز دور العقيدة التي يؤمن بها، فالدين وطريقة التفكير يؤثران في نظرة الإنسان إلى الأمور وفي رؤيته لها، فحيث يمكن أن يرى إنسان ما

(١) العيسوي عبد الرحمن، الإسلام والعلاج النفسي الحديث، ص ٢٤٣.

(٢) الشريف محمد كمال، سكينه الإيمان ص ٧٧ بتصرف.

(٣) الشريف عدنان، من علم النفس القرآني ص ١٨٢.

(٤) سورة الجن، الآية ١٣.

في مصيبة وقعت له نهاية العالم، يراها إنسان آخر من منظوره المختلف مجرد مصيبة بسيطة يمكنه أن يتكيف معها بسهولة ويمر فيها بأقل قدر من المعاناة^(١).

(٤) الهستيريا

(تعتبر الهستيريا مظهرا من مظاهر التكيف الناقص، أو الفشل في مواجهة مواقف الحياة الواقعية، والتعبير عن الحيرة والارتباك إزاء المواقف التي لا يتحمل الشخص مواجهتها، فبدل أن يحاول التغلب على صعوباتها فإنه يلجأ للسلوك الهستيري كحيلة لاشعورية تجعله ينسحب ويتراجع ويحجم عن تحمل المسؤولية، فيفقد القدرة على توجيه سلوكه، ويضع نفسه في موقف يتطلب استمرار العطف عليه ويدعو الغير لمعاونته على حل المشكلة والعمل على حمايته ورعايته^(٢)).

إن التربية الإسلامية الصحيحة التي تبدأ من تلقين الطفل كلمات التوحيد وترسيخ معانيها في نفسه، والعناية به كما أمر الإسلام من حيث إعطاء الأطفال حقوقهم وعدم التمييز بينهم في المعاملة، ومداعبتهم وتلبية حاجاتهم المادية والنفسية والعاطفية، كل هذه الأمور تضمن بناء شخصية سوية ليست في حاجة إلى الانفعال للفت الأنظار واستجداء العواطف من الآخرين.

(٥) الرهبة (الرهاب)

هو الخوف من أمور معينة، يجب ألا تكون مخيفة في الأحوال العادية، العقيدة الإسلامية تحول دون أنواع كثيرة من الرهاب كرهاب المجتمع والخوف من الناس حيث ينشأ المؤمن وهو يعلم أن الله - عز وجل - هو الأحق بالخشية وليس الناس ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَخْشَوُا اللَّهَ﴾^(٣)، وبذلك يكون جريئا قادرا على مواجهة الأخطار بدلا من الخوف والهروب منها^(٤).

(١) الشريف، سكينه الإيمان، ص ٧٨-٧٩.

(٢) علي احمد علي، الأسس النظرية والتطبيقية للصحة النفسية ص ١٢٦

(٣) سورة المائدة الآية ٤٤

(٤) نضال سميح عيسى، الطب الوقائي بين العلم والدين ص ١٥٣.

والخلاصة مما تقدم أن جميع الأمراض النفسية لا بد وأن يكون للإيمان بالله يد في تفاديها، أو على الأقل الحد من مضاعفاتها، ولذلك كانت العودة لحظيرة الدين ومظلته أقوم السبل للوقاية منها.

وهنا يجب التنبيه إلى مفهوم خاطئ حيث يعتقد البعض أن الصالحين والأتقياء لا يمكن أن تصيبهم الأمراض النفسية، لأنها في ظنهم إنما هي فقط بسبب تسلط الشيطان على ضعاف الإيمان، وهذا الاعتقاد جاء من أمرين:

- عدم إدراك هؤلاء الناس لمعنى المرض النفسي.
- نظرة الناس للأمراض النفسية على أنها مركب نقص.

وقد صح عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «لما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها»^(١)، فالأمراض النفسية مثل غيرها تصيب المسلم مهما كان صلاحه^(٢).

وإذا عرفنا مقدار ما تحمله العقيدة الإسلامية من وقاية صحية فيما سبق فإنه يمكننا تصور ما تكون عليه شخصية المؤمن الحق من انسجام وتوافق مع الحياة فيما سنعرضه من مظاهر الصحة النفسية لديه.

فهناك مظاهر كثيرة للصحة النفسية لدى المؤمن تنتج من معرفته بخالقه ومدبر شؤونه والعلاقة التي تربطه به وتربطه بما حوله من مخلوقات، ومن أهم هذه المظاهر شعور المؤمن بالأمن والطمأنينة، وتقديره لذاته تقديرًا مناسبًا، فهو ذو أهداف واقعية، واتصال فعال بعالمه، يشعر بالتفاؤل والإيجابية والاستقرار، وهذا يعطيه سعادة في الحياة، وقدرة على تقبل ذاته والآخرين، وقدرة على التعلم من

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض، ج ٥ ص ٢١٣٧ رقم

٥٣١٨؛ صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما بصييه، ج ٤ ص ١٩٩٢ رقم

٢٥٧٣

(٢) الحبيب طارق علي، مفاهيم خاطئة عن الطب النفسي ص ١٣.

مواقف الحياة، يتحمل المسؤولية ويتمتع بالاستقلالية^(١):

ومثل هذه المظاهر لا بد أن تولد نفسية غاية في الانضباط والتوازن، بحيث تكون أقدر على مواجهة أية مشكلة أو معاناة، بما تستحق من وجوه المواجهة، مما يكفل للمؤمن النجاح والتوفيق في النهاية، وصدق الله إذ يقول: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾^(٢).

وتظهر قيمة هذه الصحة النفسية التي يولدها الإيمان إذا ما عرفنا علاقة التكامل بين النفس والبدن، فالإنسان كل متكامل متآلف ومتسق تعمل أجهزته متكاملة متعاونة، بل يعتمد كل منها على الآخر، فكل عضو يؤثر في الآخر ويتأثر به (فما النفس إلا أثر الجزء من البدن هو الدماغ والجهاز العصبي، وهي تمرض بمرضه وتصح بصحته، وهذا أبسط انعكاس للبدن على النفس، فهناك انعكاسات أخرى لمرض أجهزة الجسم المختلفة على النفس، فحين يمرض القلب يؤثر في الدم الواصل إلى الدماغ فتتأثر النفس لاختلال وظيفة الدماغ... وبالمثل هناك انعكاسات للنفس على البدن، فالصراع النفسي يتحول إلى عرض جسماني في مرض الهستيريا مثل الشلل الهستيري واحتباس الصوت، وقد يحدث الصراع النفسي تغيراً في بعض أنسجة الجسم كما يحدث أمراضاً مثل قرحة المعدة والتهاب القولون المتفروح وارتفاع ضغط الدم)^(٣) وهكذا تكون العقيدة الإسلامية وقاية لأمراض عقلية وبدنية كثيرة أيضاً.

(١) أنظر: علي أحمد علي، الأسس النظرية والتطبيقية للصحة النفسية ص ١٣ بتصرف

(٢) سورة الأنعام، الآية ٨٢.

(٣) محمود حمودة، النفس أسرارها وأمراضها، ص (٢٦-٢٧).

المبحث الثاني: التربية الوقائية الصحية للصلاة.

للصلاة في الإسلام منزلة عظيمة جداً، فهي عماد الدين الذي لا يقوم إلا به، ففي الحديث قال الرسول - صلى الله عليه وسلم -: «لرأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد»^(١) وقد جعلها الله سبحانه وتعالى خيراً للمسلم، ففوائدها لا تقتصر على ما يناله في الآخرة من الأجر والوقاية من النار فحسب، بل تشمل البدن أيضاً بفوائد يحصل عليها هنا في الدنيا، فهناك فوائد بدنية عظيمة لا تعد ينعم الله بها على المصلي على الرغم من أنه يؤديها بنية تنفيذ أمر الله عز وجل وطلباً لثوابه ومرضاته^(٢).

فالمسلم حين يؤدي الصلاة فإنه وبدون أن يلقي لذلك بالاً يقوم بتمارين تشمل جميع البدن، من أعلى الرأس إلى أخمص القدم، ففي كل حركة من حركات الصلاة هناك عضلات ومفاصل وأوتار وأربطة، تشترك جميعاً في تأدية الحركة مما ينتج عنه تقويتها وتنشيطها.

ولو قيل لأحد المصلين انه يؤدي خمسين حركة كل يوم لأصابته الدهشة، ومع ذلك فهو يؤدي عدداً من الحركات يفوق كثيراً هذا الرقم فالصلاة عمل بسيط وحركات قليلة متكررة خمس مرات في اليوم، ولكن إذا أحصيتها جميعاً وجدت أرقاماً مذهلة^(٣).

وقد كشف العلماء السابقون عن بعض الفوائد الوقائية الصحية للصلاة، يقول ابن قيم الجوزية: (لا ريب أن الصلاة نفسها فيها من حفظ البدن وإذابة أخلاطه وفضلاته ما هو أنفع شيء له، سوى ما فيها من حفظ صحة الإيمان وسعادة الدنيا والآخرة)^(٤).

(١) سنن الترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة ج ٥ ص ١١، رقم ٢٦١٦. سنن البيهقي الكبرى، كتاب السير، باب أصل فرض الجهاد ج ٩ ص ٢٠، رقم ١٧٥٧٥. قال الترمذي: حسن صحيح.

(٢) النسيمي محمود ناظم، الطب النبوي والعلم الحديث ج ١/ ص ٢٣.

(٣) الطرشة عدنان، الصلاة والرياضة والبدن ص ٣٣.

(٤) ابن القيم، الطب النبوي ص ١٩٣.

ويقول أيضا: (الصلاة مجلبة للرزق، حافظة للصحة، دافعة للأذى، مطردة للأدواء، مقوية للقلب، مبيضة للوجه، مفرحة للنفس، مذهبة للكسل، منشطة للجوارح، ممدة للقوى، شارحة للصدر، مغذية للروح، منورة للقلب، حافظة للنعمة، دافعة للنقمة، جالبة للبركة، مبعدة للشيطان، مقربة للرحمن، وبالجملية: فلها تأثير عجيب في حفظ صحة البدن والقلب وقواهما، ودفع المواد الرديئة عنهما وما ابتلي رجلان بعاهة أو داء أو محنة أو بلية إلا كان حظ المصلي منهما أقل وعاقبته أسلم . . . وسر ذلك أن الصلاة صلة بالله عز وجل وعلى قدر صلة العبد بربه تفتح عليه من الخيرات أبوابها، وتقطع عنه من الشرور أسبابها، وتفيض عليه مواد التوفيق من ربه عز وجل، والعافية والصحة والغنيمة والغنى والراحة والنعيم والأفراح والمسرات كلها محضرة لديه ومسارعة إليه^(١)).

ويقول الموفق عبد اللطيف البغدادي: (الصلاة تشفي من وجع الفؤاد والأمعاء، وذلك لعلل ثلاث:

الأولى: أن الصلاة أمر إلهي، فهي عبادة ودعاء.

الثانية: أمر نفسي: حيث أن النفس تلهى بالصلاة عن الآلام، ويقل إحساسها به، فتظهر القوة على الألم فتدفعه، والماهر من الأطباء يعمل كل حيلة في تقوية القوة.

الثالثة: أن الصلاة أمر طبيعي، فهي رياضة للنفس، ورياضة للجسد، لأنها جامعة بين قيام وركوع وسجود، واستكانة وإخلاص، وعبادة وخضوع، وذلة لله، وغير ذلك مما يتحرك معه مفاصل البدن، ويتلين بها أكثر الأعضاء، لا سيما المعدة والأمعاء، وما أقوى معاونتها على دفع الأخبثين، وحذر الطعام عن المعدة^(٢).

(١) المرجع السابق ص ٣٣٢.

(٢) البغدادي موفق الدين، الطب من الكتاب والسنة، ص ٢٣٥.

ومع تقدم علم الطب والتشريح في العصر الحديث، ظهرت بالتجارب العلمية فوائد وقائية صحية عظيمة للصلاة أهمها:

(١) الصلاة تعويض عن الحركة المفقودة ووقاية من آفات السكون

فمن الواضح أن الحركة لم تعد جزءاً من حياة الإنسان اليومية في واقعنا المعاصر، بسبب انتقال الإنسان من العمل اليدوي إلى العمل الآلي، وأخذت الاختراعات الحديثة تقوم بكل شيء نيابة عنه، وبذلك انتشرت أمراض كثيرة كالسمنة ومضاعفاتها الخطيرة والكسل والخمول، فالمحافظة على أداء الصلاة تعوض الجسم تلك الحركة المفقودة من الحياة العادية، وتضمن له فوائد بدنية ونفسية.

(وتظهر أهمية حركات الصلاة التي تستدعي تحريك أكثر أعضاء الجسم ومفاصله، فتؤدي إلى توزيع درجة الكثافة على مختلف العظام والمفاصل، بعد أن أثبتت الدراسات في هذا المجال أن العظام التي تتحرك باستمرار تكون أكثر كثافة واحتفاظاً بنسبة وجود الكالسيوم فيها عن غيرها، كما أكدت المشاهدات الميدانية أن المسلم الذي يواظب على الصلوات الخمس يومياً منذ مرحلة البلوغ، ويصل إلى مرحلة الشيخوخة يكون من النادر جداً أن يشكو من أوجاع الظهر، وآلام المفاصل، والانزلاق الغضروفي، والتهابات عصب النساء، وتشوهات القوام)^(١).

(٢) الصلاة وقاية من ضيق الصدر وسبب لانشرأحه

الصلاة رياضة روحية بالاعتماد المطلق على الله ما أصبح الصباح وما انتصف النهار، وما مالت الشمس وإذا ما غربت، وإذا ما شمل الليل العالم بهدونه وسكونه يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾^(٢) والآيات تدل دلالة واضحة على أن الصلاة تدفع الضيق والحزن عن النفس وتحقق البهجة والانشراح، وفي ذلك يقول المصطفى صلى الله

(١) محمد عثمان، الصلاة وآثارها الصحية والنفسية والاجتماعية ص ٥٧

(٢) سورة الحجر، الآيات ٩٧-٩٨

عليه وسلم:- ﴿لَوَجَعْتُ قَرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ﴾^(١)، كما كانت الصلاة واحة يجد فيها صلى الله عليه وسلم راحته، حيث يقول لبلال عندما يطلب منه إقامة الصلاة: (أرحنا بها يا بلال)^(٢)

(٣) أداء الصلاة قبل الأكل يعتبر عاملا مهما في وقاية الإنسان من أمراض المعدة.

إذ ينصح الأطباء دائما كل إنسان بأن لا يتناول طعامه وهو مجهود أو مرهق أو ثائر الأعصاب، بل لابد من فترة هدوء وراحة تسبق الطعام، وإن الصلاة خير ما ينفع الإنسان في ذلك^(٣).

(٤) أداء الصلاة بعد الأكل له فوائده أيضا في تنشيط عمل الجهاز الهضمي

لأنه أثناء ميل الجذع للأمام في الركوع والسجود تتغمز المعدة والأمعاء، فتدب فيهما الحركة ويبدأ الجهاز بالعمل، فيكون الركوع وقاية من عسر الهضم وعلاجا له أيضا، حيث يندفع ألم عسر الهضم أثناء القيام بحركتي الركوع والسجود، وتعود عملية الهضم إلى طبيعتها، وكذلك وقاية من الإمساك وعلاجا له، فبالركوع والسجود تنشط الأمعاء فتدفع الفضلات إلى خارج الجسم بصورة طبيعية^(٤).

(٥) الصلاة تجعل المسلم دائم النظافة طوال يومه

حيث أنها تستلزم طهارة البدن بالغسل والوضوء، وطهارة الثوب من النجس والأقذار، وطهارة المكان الذي تؤدي فيه.

(١) سنن البيهقي الكبرى، كتاب قسم الصدقات، باب الرغبة في النكاح، ج ٧ ص ١٧٨، رقم ١١٣٢٣٢ مسند

أحمد، ج ٣ ص ١٢٨، رقم ١٢٣١٥، قال الألباني: حسن صحيح.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب في صلاة العتمة، ج ٤ ص ٢٩٦، رقم ٤٩٨٥، مسند أحمد ج ٥ ص ٣٦٤، رقم ٢٣١٣٧، قال الشيخ الألباني: صحيح (الألباني)، صحيح سنن أبي داود ج ٣، ص (٩٤١).

(٣) الدومي أحمد عبد الجواد، الإسلام منهاج وسلوك ص ٣٩

(٤) انظر: الطرشة، الصلاة والرياضة والبدن ص ١١٣ محيي الدين عبد الحميد، عالج نفسك بالصلاة

(٦) صلاة الفجر وقيام الليل يقي من أمراض القلب

(تقوم الآن دراسات طبية هامة في الأوساط العالمية، لمتابعة الأحداث والتنقيب عن مسببات وعوامل انتشار أمراض القلب في العصر الحديث، وبدرجة كبيرة في إنسان هذه الفترة من الزمن بالذات، وقد ثبت علمياً بعد الدراسة والبحث والتجارب الطبية، أن الإنسان الذي ينام ساعات طويلة على وتيرة واحدة يتعرض للإصابة بأمراض القلب بنسبة عالية، والسبب أن هناك مادة دهنية مذابة في الدم، تترسب على جدران الشرايين الإكليلية للقلب، ويقوم كثير من العلماء والمفكرين اليوم بالنهوض من النوم بعد مرور أربع ساعات، لإجراء بعض الحركات الرياضية أو ممارسة بعض الأعمال العضلية لمدة ربع ساعة، وذلك تجنباً لخطر أمراض القلب والحفاظ على طراوة وحيوية الشرايين القلبية، ووقايتها من الترسبات الدهنية)^(١).

(٧) إزالة العصبية والقلق

أجمع الأطباء النفسيون على أن علاج التوتر العصبي والتأزم الروحي، إنما يتوقف إلى حد كبير على الإفضاء بسبب التوتر ومنشأ القلق إلى صديق مخلص، فإن كتمانهم في الصدر يجعله يعتلج بين الجوانح مما يزيد المرض ويقود إلى الخطر، فكيف بالمصلي الذي يفضي في صلاته إلى ربه السميع العليم، الذي لا يكشف السر ويغفر الذنب؟! فإنه قد أوى بذلك إلى ركن ركين، فتهدأ النفس ويزول التوتر والقلق^(٢).

(٨) الصلاة وقاية وعلاج للعمود الفقري

كشفت الدراسات الطبية المعاصرة أن في الصلاة تمريناً وقائياً لأوجاع العمود الفقري، يقول شفيق الزيات: (وجدت أن هناك بحثاً منشوراً في أحد الكتب الطبية لعالم إنجليزي اسمه (فيسر) ينصح بأن الطريقة المثالية للعلاج الطبيعي للمريض

(١) إبراهيم الراوي، المعجزات الطبية في القرآن، مجلة حضارة الإسلام، المجلد ١٤، عدد ٦، ١٩٧٣م،

نقلًا عن: الدقر محمد، روائع الطب الاسلامي ج ٢ ص ١٢٠.

(٢) الغوابي حامد، بين الطب والإسلام ص ١٠٠.

الذي أجري له عملية الفقرات هو أن ينحني خمس مرات يوميا . . فلماذا حدد هذا العالم الإنجليزي عدد الانحناءات بخمس مرات في اليوم وهو لا يعرف شيئا عن الصلاة الإسلامية (١٢) ثم يقول: (وقرأت أن عالما آخر قال: إن أمثل طريقة للعلاج الطبيعي، وأكثرها تأثيرا هو ما يكون في جماعة، وليس فرديا، وحين ربطت بين هذا الكلام وبين الصلاة الجماعية التي هي من شعائر الإسلام، تأكد لي أن الصلاة هي خير وقاية وخير علاج للإصابة بالعمود الفقري، وبعد إجراء عملياته، ولذلك بدأت في تطبيق نظام يقضي بأن المريض بعد إجراء العملية بأربع وعشرين ساعة، يؤدي الصلاة الجماعية في اليوم خمس مرات، وبذلك تمكن المرضى جميعا من العودة إلى نشاطهم الكامل بعد أسبوع واحد فقط، بينما نجد في أحسن المستشفيات العالم أن المريض يستمر على العلاج الطبيعي ستة أسابيع على الأقل، قبل أن يبدأ العودة إلى نشاطه الطبيعي) (١).

(٩) ومن أمراض العمود الفقري التي تقي منها الصلاة أيضاً:

(أ) الألم القطني - لمباغو:

وهو الألم المضني الذي يصيب أسفل العمود الفقري في منطقة القطن، ويشند عادة بالحركة، ولكنه قد يوجد عند الراحة، ويكثر هذا المرض عند غير المسلمين أو بالأحرى عند من لا يؤدون صلاتهم بانتظام، بينما يقل نسبيا عند من هم على صلاتهم يحافظون، فتكرار الركوع والسجود عشرات المرات في اليوم يمنح عضلات الظهر وبخاصة الكتلة العضلية الممتدة على جانبي العمود الفقري، يمنحها نموا مثاليا وتغذية وافرة وقوة نادرة عدا عن المرونة والليونة التي تكتسب عفويا، كما أن تكرار الركوع والسجود يحرر المفاصل بين الفقرات ويخفف من تصلبها ويقلل من قساوتها، وبخاصة عندما يجيد المصلي ركوعه فيأخذ الجذع وضعاً أفقياً متوازنا كما أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم - بذلك في قوله: «لأيا معشر المسلمين لا صلاة لمن لا يقيم صلبه في الركوع والسجود» (٢)، وبهذا تفسر قلة

(١) بحث قدمه الدكتور شفيق جودت الزيات إلى المؤتمر الطبي الإسلامي المنعقد في القاهرة بتاريخ:

١٩٨٧/٥/٢م مجلة منار الإسلام، ص ١٥، عدد ٨٥ / شعبان ١٤٠٧هـ - نيسان ١٩٨٧م

(٢) سنن ابن ماجه، كتاب الصلاة، باب الركوع، ج ١، ص ٢٨٢، رقم ٨٧١. قال الألباني: حديث صحيح

(الألباني، صحيح سنن ابن ماجه، ج ١، ص ١٤٤).

الألم القطني بين الشعوب الإسلامية، بينما يلاحظ هذا المرض بكثرة عند الآخرين، فترى العديد منهم في المدن الأوروبية يمشون في الشوارع، ذكرانا وإناثا، بأجسام متصلبة وظهور متيبسة حتى يصعب عليهم الالتفات، ويتعذر الانحناء كأنهم هياكل خشبية أو أعجاز نخل خاوية^(١).

(ب) إنفتاح النواة اللبية وعرق الأنسل:

(يوجد بين كل فقرتين في العمود الفقري قرص غضروفي ملتصق بهما يسهل حركة الفقرات حركة محدودة في كل الاتجاهات، ويحوي هذا القرص نواة لينة تسمى (لب القرص) أو (النواة اللبية) التي قد تتفتق وتبرز على جوانب القرص، وبالتمارين المستمرة التي تفرضها الصلاة على المسلم تؤدي إلى تقوية عضلات الظهر وتنميتها، فتدعم وتقوّم العمود الفقري، ولذلك تقل نسبة حدوث انكسار الفقرات أو انقراصها)^(٢).

(ج) التهابات المفاصل وآلامها:

إن التمارين الخفيفة الدائمة التي يمارسها الإنسان قبل ظهور المرض أو في المراحل الأولى منه، تحفظ حركة المفصل حرة طليقة أو تحرره من التصلبات والتليفات التي قد تتمكن حوله وبالتالي تساعد على تسكين الآلام وتخفيفها، وهذا ما تقوم به الصلاة من علاج فيزيائي طبيعي مستمر، وتزداد ميزة أن المسلم يمارسها منذ نعومة أظفاره، وأن لها صفة الاستمرار والقدسية «الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ»^(٣) فالبدء بالصلاة قبل ظهور أي مرض أو اضطراب في المفاصل يجعل نسبة حدوث أمراض المفاصل قليلة، وإن حدثت فتكون خفيفة الوطأة، بسيطة الألم، نادرة التشوهات عديمة التليف والتصلبات^(٤).

(١) انظر: علوان فارس، وفي الصلاة صحة ووقاية ج ١ ص ١٦٤؛ الطرشة، الصلاة والرياضة والبدن ص ٢٣٤.

(٢) علوان، وفي الصلاة صحة ووقاية ج ١ ص ١٦٦.

(٣) سورة المعارج، الآية ٢٣.

(٤) علوان، وفي الصلاة صحة ووقاية ج ١ ص ١٦٨.

(٩) الصلاة صيانة وعلاج لعضلات الجسم:

قام فريق من الأطباء بقسم الأمراض الروماتيزمية والعلاج التأهيلي بكلية الطب بجامعة الأزهر بدراسة طبية استمرت عامين^(١) خلاصتها: أن المصلي تشترك جميع عضلات جسمه في حركات الصلاة فهي رياضة منتظمة تحافظ على سلامة هذه العضلات والأربطة وتقيها التوتر والتيبس، وتقوي الأوتار والأربطة وتزيد مرونتها.

(١٠) حفظ صحة الرئتين

إذ أن حركات الصلاة تفرض على المصلي اتباع نمط منتظم فريد أثناء عملية التنفس، مما يساعد على إدامة زخم الأوكسجين ووفرته في الرئتين، وبهذا يتحقق للإنسان مناعة وصحة أفضل^(٢).

(١١) الانتفاع بغاز الأوزون.

(يمتلئ الجو في ساعات الفجر بأعلى نسبة من غاز الأوزون ويقل تدريجياً حتى يضمحل عند طلوع الشمس، ولهذا الغاز تأثيرات مفيدة على الجهاز العصبي والمشاعر النفسية، كما أنه ينشط العمل الذهني والعضلي^(٣). فالمحافظة على صلاة الفجر وخصوصاً مع الجماعة في المسجد تكسب المصلي فوائد هذا الغاز).

(١٢) تأثير الصلاة على الدورة الدموية

أظهرت إحدى الدراسات الطبية أن حركات الركوع والسجود الطويلة تؤدي إلى تنظيم ضربات القلب، وتكسب الشرايين والأوردة المرونة اللازمة، وتقلل من ضغط الدم المرتفع بشكل سريع ومفاجئ في الرأس، كما أثبتت أهم المشاهدات

(١) قام بهذه الدراسة كل من الأطباء: حنفي محمد، محمد بسيوني، محمد نور الدين، حسن بسيوني، محمد رضا عوض (صحيفة الاتحاد / الإمارات العربية المتحدة، ص ٦، ٢٦ / شعبان ١٤١٠هـ، السنة ٢١، العدد ٥٧٣٩)

(٢) الطرشة، الصلاة والرياضة والبدن ص ٥١.

(٣) محيي الدين عبد الحميد، عالج نفسك بالصلاة ص ١٠٥.

الطبية في هذا المجال أن الإصابة بحالات الجلطة، التي تؤدي إلى انسداد الشريان الرئوي أو جلطة أوردة الساقين ليست من الأمراض المنتشرة كثيراً بين المسلمين المواظبين على أداء الصلاة، بينما تشكل هذه الحالات المرضية نسبة خمسة في الألف عند المرضى الذين تجرى لهم عمليات جراحية من غير المسلمين، وكما أن حركات الصلاة تساعد الدورة الدموية والقلب على سرعة التكيف مع أداء الحركات المفاجئية، التي ربما يتعرض لها الإنسان كثيراً، مثل حالات النهوض للوقوف فجأة من وضع الجلوس لفترة طويلة، وبالتالي تشكل وقاية من انخفاض مفاجئ لضغط الدم ومن ثم الدوار أو الإغماء^(١).

(١٣) تغذية الدماغ بالدم وفوائده الكثيرة

إن للسجود أثراً جسداً على الأوعية الدماغية، فانخفاض الرأس لأسفل أثناء السجود يؤدي لاحتقان دموي في الأوعية، وعند ارتفاع الرأس إلى أعلى فجأة يحصل انخفاض في الضغط داخل الأوعية، وب تكرار هذه الحركة (تقبض وارتخاء) تزداد مرونة الأوعية الدماغية، وتقوى جدرانها وعضلاتها، وكلما كانت حالة الأوعية الدماغية جيدة، كان وارد الدماغ من الغذاء والأكسجين مع الدم جيداً، حتى إن كثيراً من الأمراض العصبية الخطيرة، تنتج عن اضطرابات تحصل لهذه الأوعية من تمزق وانسداد^(٢).

(١٤) الوقاية من دوالي الساقين

وهو خلل شائع ومنتشر في أوردة الساقين، يتمثل في أوردة غليظة ومتعرجة وممتلئة بالدماء المتغيرة اللون على طول الأطراف السفلية للساقين، تؤدي إلى آلام مبرحة وتشوهات في الساقين، وضعف في أداء الأطراف السفلية، وعند دراسة مسببات هذا المرض، وجد أن هناك تأثيراً عجبياً لحركات الصلاة في درء هذه المسببات والوقاية من هذا الداء^(٣).

(١) محمد عثمان، الصلاة وأثارها الصحية والنفسية والاجتماعية ص ٥٥.

(٢) محيي الدين عبد الحميد، عالج نفسك بالصلاة ص ٩٧، ٩٨ بتصرف

(٣) انظر التفاصيل الدقيقة لدور الصلاة في الوقاية من هذا المرض في كتاب الدكتور: توفيق محمد علوان، معجزة الصلاة في الوقاية من دوالي الساقين.

(١٥) الوقاية من أمراض الأوردة:

تساهم الصلاة في الوقاية من كثير من أمراض الأوردة والتي منها: البواسير، والتهاب الوريد، وتخثر الوريد العميق وهو تخثر وانسداد الوريد الرئيسي العميق في الطرف السفلي، فينتضخ الطرف ويسبب الألم أثناء المشي^(١).

(١٧) فوائد أخرى للصلاة:

هناك فوائد أخرى لحركة النزول والقيام في الصلاة مثل: إكساب التوازن والرشاقة، حيث أن المصلي في آخر مرحلة النزول وقبل السجود يكون مرتكزا فقط على أصابع قدميه، وكذلك تفيد هذه الحركة في تعليم وتنمية التوافق واستثارة وتقوية الانتباه والتركيز^(٢).

(١٨) الأهمية الحيوية لمواقيت الصلاة.

للصلوات الخمس مواعيد محددة يجب على المسلم الالتزام بها عند أدائه لكل صلاة، ولعل الحكمة من ذلك أن يكون المسلم في حالة نشاط بدني وصفاء ذهني وراحة نفسية مستمرة، من طلوع الفجر إلى ما بعد صلاة العشاء، قال تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾^(٣).

(هذه المواقيت المحددة للصلوات الخمس تتناسب مع خط الحيوية البيولوجية للإنسان، ذلك الخط الحيوي الذي اكتشفه علماء البيولوجيا في الصين، وأكدته علماء أوروبا وأمريكا، حيث اتضح علميا أن دورة الطاقة الحيوية بالجسم خلال الأربع والعشرين ساعة تتخذ خطا بيانيا تصل فيه إلى الذروة مرتين، يفرق بينهما ١٢ ساعة، فتبلغ ذروتها الساعة الرابعة صباحا، والرابعة عصرا، بينما تصل إلى أدنى مستواها في الساعة الثانية بعد الظهر والساعة الثانية بعد منتصف الليل، وهي بين

(١) انظر: علوان، وفي الصلاة صحة ووقاية ج ١ / ص ١٩٤ - ١٩٨

(٢) الطرشة، الصلاة والرياضة والبدن، ص ١٢٠.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٣٨.

هذه الأوقات ترتفع وتهبط تدريجياً^(١).

من خلال ذلك نستطيع إدراك مدى أهمية وفوائد أداء الصلوات الخمس في مواعيدها المحددة، التي تساعد الجسم في استعادة الحالة الطبيعية لدرجة توافق الإيقاع البيولوجي لجميع أجهزة الجسم، وعدم تعرضها للاضطراب.

(ففي صلاة الفجر: نجد موعد أدائها قبل شروق الشمس بقليل، وهي انسب الأوقات صحياً حسب القاعدة البيولوجية، ليعتاد الإنسان على النهوض من النوم مبكراً لاستقبال اليوم بحيوية ونشاط، وبذلك يتحقق للإنسان أهم التوصيات الطبية الحديثة الخاصة بتنظيم مواعيد النوم والاستيقاظ مبكراً، بحيث تصبح عادة يومية أجمعت كل الآراء الطبية على فوائدها الصحية، والتي يجب تربية الأولاد عليها، وقد حث عليها الرسول -صلى الله عليه وسلم-: في قوله: «اللهم بارك لأمتي في بكورها»^(٢).

صلاة الظهر: غالباً ما يكون موعدها بعد ساعات من العمل، عندما يكون الإنسان في قمة انشغاله العقلي والبدني، وربما يكون مصاباً ببعض حالات التوتر النفسي نتيجة للانفعالات الشديدة التي قد يتعرض لها أثناء العمل، وفي هذه الحالة يكون في أشد الحاجة للحصول على فترة راحة، وبهذا تعمل صلاة الظهر على الانتقال من هذا الجو الدنيوي الصاخب إلى الهدوء النفسي والصفاء الذهني، فتتشط جميع أجهزة الجسم الحيوية، ويخف الإرهاق النفسي والإجهاد البدني والعقلي، فيعود الإنسان إلى مزاولة العمل مرة أخرى بروح عالية ونشاط واضح.

وقد أدرك الخبراء أهمية هذه الناحية، ومدى تأثيرها على العمال والموظفين في المصانع والمؤسسات في الدول المتقدمة، حيث يخصصون فترة راحة من العمل أثناء فترة الظهر، ليقوم العمال فيها بأداء عدة تمارين رياضية في أماكنهم، مما

(١) مختار سالم، الطب الإسلامي بين العقيدة والإبداع ص ٢٣٩، ٢٤٠ بتصريف، وانظر: محمد عثمان،

الصلاة وأثارها الصحية والنفسية والاجتماعية ص ٧٢.

(٢) سنن الترمذي، كتاب البيوع، باب ما جاء في التفكير بالتجارة، ج ٣، ص ٥١٧، رقم ١٢١٢ وقال:

حديث حسن.

يؤدي ذلك إلى زيادة وجودة الإنتاج^(١).

صلاة العصر: يكون موعدها بعد فترة الراحة الكافية من تناول طعام الغداء، وبذلك يستعيد الجسم نشاطه مرة أخرى من جديد، فتصبح عملية الهضم أكثر نشاطاً وفاعلية، مما يؤدي ذلك إلى القدرة على مواصلة العمل، والنشاط في النصف الثاني من اليوم^(٢).

صلاة المغرب: لها ما لصلاة الظهر من فوائد صحية ونفسية.

صلاة العشاء: يكون موعدها نهاية النشاط اليومي، وهي بمثابة عملية الختام لإنهاء جميع المشاكل والأعباء اليومية، ليذهب الإنسان بعدها إلى الفراش في طمأنينة، بعيداً عن الخوف والقلق والتوتر، فيستفيد من ساعات النوم إلى أقصى درجة ليستيقظ مبكراً في حالة نفسية جيدة، ونشطاً لأداء صلاة الفجر التي يبدأ بها نشاطه اليومي وحيويته البيولوجية^(٣).

(١) مختار سالم، الطب الإسلامي بين العقيدة والإبداع، ص ٢٤٠.

(٢) أنظر: مختار سالم، الطب الإسلامي بين العقيدة والإبداع ص ٢٤٠؛ الدقر / روائع الطب الإسلامي ج ٢ ص ١١٨-١١٩.

(٣) مختار سالم، الطب الإسلامي بين العقيدة والإبداع ص ٢٤١-٢٤٢ بتصرف.

ج - عندما يمضي الصائم بعض الساعات بلا طعام ولا شراب يشعر بشيء من الضعف في قوته، فيحس بضعفه البشري ويقل اغتراره بقوته، وتظهر نفسه من نزعة التجبر والعلو في الأرض، إذ كيف يتجبر وهو لم يصبر دون طعام وشراب عدة ساعات ؟ ولعل هذا من الفوائد النفسية الهامة للصيام لأنه يرجع الإنسان إلى الواقع ؟ ويخلصه من عقدة التفوق والعلو التي أفسدت عليه نفسه^(١).

ثانياً: الوقاية من الأمراض البدنية:

١ - الوقاية من الزوائد والترسبات في الجسم والخلايا المريضة

معروف أن الجسم في حالة الصوم يبدأ باستهلاك المواد الغذائية المخزونة فيه، فإذا نفدت يبدأ في استهلاك أو إحراق أنسجته الداخلية، وأول الأعضاء التي يتغذى عليها الجسم هي الأعضاء التي تكون مريضة بأي مرض يسبب فيها احتقاناً أو نقيحاً أو التهاباً، وبديهي أن أول الخلايا التي تستهلك هي تلك الخلايا المريضة أو الهرمة، فهذه هي أول ما يتأكسد من أنسجة الجسم ويحترق ثم يتخلص الجسم منها، فالصوم في هذه الحالة يقوم مقام مشرط الجراح الذي يزيل الخلايا التالفة أو الضعيفة من كل عضو مريض فيعطيه فرصة يسترد خلالها حيويته ونشاطه، وبهذه النظرية يكون الصوم وقاية للجسم من كثير من الزيادات مثل الحصوة والرواسب الكلسية والزوائد اللحمية وأنواع البروز والأكياس الدهنية وأيضاً الأورام الخبيثة، فقد لوحظ بالأشعة أن جميع هذه الزوائد يصغر حجمها أثناء الصوم^(٢).

٢ - وقاية من الشعور بالألم

أكدت الدراسات الطبية أن المخ أثناء الصيام يفرز مادة الفيلايين ومادة الأندورفين اللتين تعملان على ضبط الأعصاب واستعادة توازنها وتهدئة الإنسان دون الاستعانة بالمهدئات، كما أن هاتين المادتين يزداد إفرازهما عندما يصبر الإنسان ويجاهد نفسه ويواجه الأمور بعزم، مما يوقف استمرار تيار الألم في العضو

(١) الشريف، سكينه الإيمان ص ٢٩٠.

(٢) الفجرى أحمد شوقي، الطب الوقائي في الإسلام ص ٦٣.

المصاب ومنعه من الانتقال عبر الأنسجة العصبية إلى الجزء الخاص في المخ بتفسير الألم والإحساس به، أي أن الصوم يعتبر من أعظم طرق الطب الطبيعي لإزالة حالات الشعور بالألم أو تقليل حدوثه على الأقل^(١).

٣- الصوم يحمي الإنسان من مرض السكر

في الصوم تقل كمية السكر في الدم إلى أدنى المعدلات وهذا يعطي غدة البنكرياس فرصة للراحة، فمن المعروف أن البنكرياس يفرز الأنسولين، وهذه المادة بدورها تؤثر على السكر في الدم فتحوله إلى مواد نشوية ودهنية تترسب وتخزن في الأنسجة، وإذا زاد الطعام عن قدرة البنكرياس في إفراز الأنسولين فإن هذه الغدة تصاب بالإرهاق والإعياء ثم أخيراً تعجز بالتدريج سنة وراء سنة حتى يظهر مرض السكر، وخير حماية للبنكرياس من هذا الإرهاق هو الصوم^(٢).

٤- الصوم يخفف العبء عن جهاز دوران الدم، حيث تهبط في الدم نسبة الدسم وحمض البول، فيساعد ذلك في الوقاية من ارتفاعهما، فارتفاع دسم الدم عامل مساعد على تصلب الشرايين، أما ارتفاع حمض البول (اليوريك) قد يسبب مرض النقرس الذي يظهر بالألم في بعض المفاصل وخاصة في إبهام القدم لترسب ذلك الحمض عليها، وقد يسبب حصيات بولية^(٣).

٥- الصوم وقاية من الأمراض الجلدية

من الحقائق الطبية الثابتة أن هناك علاقة متينة بين التغذية والأمراض الجلدية، وقد شوهدت حالات كثيرة متنوعة من هذه الأمراض قد تحسنت عن طريق اتباع الصوم، لأن الامتناع عن تناول الغذاء والشراب فترة طويلة أثناء اليوم يقلل من نسبة وجود الماء في الجسم والدم، وهذا بدوره يؤدي إلى قلته في الجلد، وحينئذ تزداد مقاومة الجلد للأمراض المعدية والميكروبية^(٤).

(١) طلال أحمد، مقال في مجلة المجتمع، الكويت، العدد ١٣٨٠، ٦ - ١٢ رمضان ١٤٢٠ هـ ص ٦٢.

(٢) الفنجري، الطب الوقائي في الإسلام ص ٦٤

(٣) النسيمي، الطب النبوي والعلم الحديث ص ٢٧٤

(٤) انظر: محمد إبراهيم سليم، التداوي بالصيام ص ١٠٠. محمد عبد المنعم، الأمراض الجلدية والتناسلية

بين القرآن والسنة ص ٣١.

٦- (الصوم يريح الكليتين وجهاز البول بإقلاله فضلات استقلاب الأغذية المنطرحة، كما يقي السليم من البدانة ومما تساعد عليه من أمراض، والوقاية من البدانة أسهل من علاجها)^(١).

٧ - وقاية للجهاز الهضمي

للجهاز الهضمي من فوائد الصيام الحظ الأوفر، وذلك راجع للتأثير المباشر للصوم على هذا الجهاز، فيستريح فترة طويلة من إفراز العصارات الهاضمة وحركة الأمعاء الكثيرة، ولذلك فالصيام يفيد في الوقاية والعلاج من اضطرابات الأمعاء المزمنة المصحوبة بتخمير المواد النشوية والبروتينية^(٢).

٨- يقي الصوم النساء من كثير من الأمراض

مثل اضطرابات اليأس، والتهاب الرحم المزمن والتهاب المبيض أو بسوق الرحم، والأورام الحميدة في الأعضاء التناسلية، واضطرابات الطمث والقيء في أثناء الحمل، والاستعداد للإجهاض عند الحامل في شهرها الثالث والرابع، لأن الصوم يساعد على انبساط عضلة الرحم وعدم انقباضها بشدة، ولا يؤثر على صحة الجنين إذا كانت الأم بصحة جيدة^(٣).

(١) النسيمي، الطب النبوي والعلم الحديث ص ٢٧٥.

(٢) أنظر: غريب جمعة، حرمان ولكنه عافية، مجلة الوعي الإسلامي عدد ١٧٧ السنة ١٥ ص ٢٣.

الهلباوي اسماعيل، ماذا تعرف عن الأمراض ص ١٩.

(٣) أنظر: رويحة أمين، التداوي بلا دواء ص ١٨٦. علل وأسقام يشفيها الصيام، جريدة المسلمون، العدد

٣٨، ١٤٠٢/٩/٢٥ هـ

المبحث الرابع: التربية الوقائية الصحية في الزكاة والحج

الزكاة عبادة مالية، والحج عبادة مالية بدنية، وعند تدبر الغاية والحكمة من وراء تشريعهما تتبين بعض الفوائد الوقائية الصحية التي تربي الفرد والمجتمع.

أولاً: الزكاة:

لقد أوجب الله سبحانه وتعالى على الأغنياء من المسلمين فريضة الزكاة وجعلها حقا واجبا عليهم يرد على فقرائهم لسد حاجاتهم ورفع مذلة السؤال عنهم.

(وهي بذلك وسيلة من وسائل الضمان الاجتماعي، التي جاء بها الإسلام، فالإسلام يأبى أن يوجد في مجتمعه، من لا يجد القوت الذي يكفيه، والثوب الذي يستره، والمسكن الذي يؤويه، فيصبح بذلك عرضة للأمراض، فالمسلم مطالب بأن يحقق هذه الضروريات وما فوقها من جهده وكسبه، فإن لم يستطع فالمجتمع المسلم يكفله ويضمنه ولا يدعه فريسة للجوع والعري والتشريد فالمسلمون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، وبالتالي فإن الزكاة تحصين للفقراء من العيلة والضياع)^(١).

(كما أن العون المالي بالزكاة لا يرمي إلى ضمان المحتاجين ماديا فحسب، بل يرمي إلى تحقيق إيلاف الإنسان الملهوف: فهو إلى جانب كفاية المسكين والفقير يحرر الإنسان من الرق، ويعمل على أن يؤلف الناس بعضهم بعضا بالإقراض قرضا حسنا (بدون فائدة) بأن يضمن وفاء دين المدين الذي يفلس وهو أمر لم يسمع العالم بمثله حتى اليوم، وهو يزيل لهفة المنقطع عن موطنه فيؤمن له الوصول إلى بلده آمنا كريما، فالزكاة في الإسلام أداة بالغة الفعالية في إيلاف المؤمنين وتحقيق السلامة والأمان لهم)^(٢).

(١) النابلسي محمد، نظرات في الإسلام ص ٩٧

(٢) الغزي هشام، بنى الإسلام ٢٢٠.

بالإضافة إلى ذلك فإن للزكاة فوائد وقائية في جانب الصحة النفسية منها:

١- الزكاة وقاية لنفس الغني من الشح البغيض، تلك الآفة النفسية الخطرة، التي لا تلبث عندما تستحكم في النفس أن تسيطر على أحاسيسها ومشاعرها، وتستولي على جميع تصرفاتها وأعمالها، حتى يتحول الإنسان إلى سبع ضار لا يبالي بما يأتي به من الإجرام في سبيل إشباع شهوته المالية الجامحة، وما جرائم قطاع الطرق والعصابات الإرهابية التي تشيع الذعر وتهدد الأمن وسلامة الناس إلا نتائج استحكام شهوة المال في الأنفس، ولا تقف خطورتها عند حد، بل كثيرا ما تؤدي إلى نضوب العواطف وجفاف المشاعر حتى لا تراعي حرمة للحمى القرابة والنسب، فكم سمعنا باغتيال ولد لوالده وعدوان قريب على قرابته طمعا في الاستئثار بما في أيديهم من المال، وما من علاج لهذا الداء أنجع وأجدى من تربية النفس على إنفاق المال فيما يعود بالخير والإحسان على الأمة، ونجد في نظام الزكاة المشروعة في الإسلام المرهم النافع والمبضع المستأصل لهذا الداء^(١)، «وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»^(٢).

ومن ضمن ما أثبتته علم النفس أن الزكاة، (تجعل الإنسان يتحلل من عبادة المال ولا يجعل حب المال يسيطر عليه، السيطرة التي تؤدي بالإنسان إلى المرض وإلى الانتحار أحيانا)^(٣).

٢- (الزكاة وقاية لنفس الفقير من الحسد والضغن على ذلك الغني الكانز لمال الله، والذي يمنعه عن عباد الله، فمن شأن الإحسان أن يستميل قلب الإنسان، ومن شأن الحرمان أن يملأه بالبغض والحقد)^(٤)، فإذا سد عوز الفقير وتمكن

(١) انظر: الخليلي أحمد بن حمد، مشروعية استثمار أموال الزكاة (بحث مقدم لندوة / الزكاة والتكافل الاجتماعي في الإسلام، عقدت في عمان / الأردن من ٣ ٥ صفر ١٤١٥ هـ) سلسلة ندوات الحوار بين المسلمين ص ٣٤١.

(٢) سورة الحشر، الآية ٩.

(٣) نوفل عبد الرزاق، الإسلام والعلم الحديث ص ١٧٠.

(٤) النابلسي، نظرات في الإسلام ص ٩٥.

من مقاومة لأواء الحياة ومواجهة عسر مطالبها بما يحفظ له صحته، انطفاً في نفسه سكير الحقد ولهيب الحسد بل ولا يلبث لسانه أن يلهج بالثناء على الغني والدعاء له بالخير فتتألف القلوب وتتوحد المشاعر والأحاسيس، ولا يخفى ما يكون في ذلك من الراحة النفسية والسكينة والرحمة والمودة.

٣- (الزكاة نماء لشخصية الغني وكيانه المعنوي، فالإنسان الذي يسدي الخير ويصنع المعروف، ويبذل من ذات نفسه ويده لينهض بإخوانه في الدين والإنسانية، وليقوم بحق الله عليه يشعر بامتداد في نفسه، واتساع وانسراح في صدره، ويحس بما يحس به من انتصر في معركة، وهو فعلاً قد انتصر على ضعفه وأثرته وشيطان شحه وهواه، فهذا هو النمو النفسي والزكاة المعنوية)^(١).

٤- (الزكاة نماء لشخصية الفقير حيث يشعر أنه ليس ضائعاً في المجتمع، ولا هيناً عليه، ولا متروكاً لضعفه وفقره، بل أن مجتمعه يعمل على إقالة عثرته، ويحمل عنه أثقاله ويمد له يد المعونة بكل ما يستطيع)^(٢).

وبذلك تنعم نفسه بالهدوء والاستقرار النفسي، ويتجسد في المجتمع معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا ترى المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر»^(٣).

ثانياً: الحج:

تجمع فريضة الحج فوائد بدنية وروحية، فيتزود الحاج منها طاقة روحانية عندما يقف في تلك المشاهد العظام، ويتذكر ذلك التاريخ العظيم الذي مر بها، فما من شبر في تلك الأرض الطاهرة إلا وهو سجل حافل بتاريخ مجيد، لذلك فإن غالب فوائدها الوقائية التي تظهر لنا تقع في الجانب الروحي النفسي.

(١) النابلسي، نظرات في الإسلام ص ٩٦.

(٢) المرجع السابق ص ٩٦.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم ج ٥ ص ٢٢٣٨، رقم ٥٦٦٥ صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين ج ٤ ص ١٩٩٩، رقم ٢٥٨٦.

أولاً: الفوائد الوقائية في الصحة النفسية:

١- ما يبدأ به الإنسان إذا ما نوى الحج من التوبة إلى الله من جميع ذنوبه، برد المظالم إلى أهلها، وإرجاع ما عليه من ديون لأصحابها، وقضاء نذوره وكفاراته، وبذلك تصفو نفسه وتتطهر من الشواغل والأدران وكل ما يسبب له الإرهاق الفكري والتوتر العصبي.

٢- عندما يفكر المسلم بالذهاب إلى هذه الأماكن المقدسة للحج أو العمرة، ويبدأ في الإعداد لذلك، يشعر برباط روحي يشده إلى تلك الأماكن وغبطة تسري في جوانحه فتكسبها نشاطاً وسعادة غير مألوفة في أسفار أخرى، مما ينسي هموم الحياة ومشاكل النفس ويخلفها الإنسان وراء ظهره، ويذهب لا يلوي على شيء إلا تخيلاته بالتلبية والطواف بالبيت العتيق، والسعي، والتسليم على المصطفى صلى الله عليه وسلم.

٣- إتياب الجسم في المناسك المختلفة سبب في سعادة النفس وطمأنينة الفؤاد وعافية الروح.

٤- (لعل في اختيار الحج في بقعة معينة من الأرض راجع في بعض حكمه إلى أن الانتقال من مكان إلى آخر عامل مهم من عوامل التجديد والاستطلاع ومشاهدة المنافع)^(١).

٥- تتجلى في الحج المساواة بين الناس بلباس واحد وفي مكان واحد، الغني مع الفقير والأمير مع العامل، والعربي مع الأعجمي، يلهجون بصوت واحد بالتلبية والدعاء، وهذا يقي الحاج من داء الكبر ويبدأ حياة جديدة بعيدة عن الانفعالات والأمراض النفسية والسلوكية.

٦- الراحة النفسية التي يشعر بها من أدى فريضة الحج مخلصاً لله، وهو قافل للرجوع إلى بلده، وقد انحط عنه ركن من أركان الإسلام وأدى ما عليه من واجب تجاه خالقه، وتحصن بذلك من عقوبة تركه واستبشر بمثوبة فعله،

(١) الدومي، الإسلام منهاج وسلوك ص ٥٢.

غفران الذنوب ودخول الجنة، يقول صلى الله عليه وسلم: ﴿لَمَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرِفْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ﴾^(١) ويقول أيضا: ﴿لِلْحَاجِّ وَالْعَمَّارِ وَفَدَّ اللَّهُ إِذَا دَعَوْهُ أَجَابَهُمْ وَإِنْ اسْتَغْفَرُوهُ غُفِرَ لَهُمْ﴾^(٢) ويقول في حديث آخر: ﴿تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعَمْرَةِ فَانَهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذَّنْبَ كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ خَبْثَ الْحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالْفُضَّةِ، وَلَيْسَ لِلْحُجَّةِ الْمَبْرُورَةِ ثَوَابٌ إِلَّا الْجَنَّةُ﴾^(٣)، ولا شك بأن من يبشر بمثل هذه الجوائز ترتفع معنوياته، ويمتلئ قلبه طمأنينة، ويكون لذلك أثره الهائل على إقباله للحياة بسعادة، كما تهون عليه صغائر الدنيا وتوافهها.

ثانياً: الفوائد الوقائية في الصحة البدنية:

١- الحج فيه السفر ومشاقه، وقد قال الرسول -صلى الله عليه وسلم-: ﴿لِلسَّافِرِ وَتَغْنَمُوا﴾^(٤)، والتعود على حياة التقشف وقهر النفس إزاء الرغبات، والبعد عن حياة الترهل والكسل التي تحد من نشاط الإنسان الذهني والجسماني، وفيه يتعود الإنسان الاعتماد على النفس في تدبير حاجياته^(٥).

٢- إطعام الفقراء

ومن المنافع الصحية في الحج استفادة الفقراء من لحوم الهدي التي يقدمها الحجاج، والتي أمكن الاستفادة منها أكثر في هذا العصر مع تقدم وسائل الحفظ والنقل السريع، فيمكن أن ترسل إلى فقراء المسلمين الجوعى حيث كانوا من بلاد

(١) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور ج ٢ ص ٥٥٣ رقم ١٤٤٩، صحيح مسلم، كتاب الحج، باب لا يحج البيت مشرك ج ٢ ص ٩٨٣ رقم ١٣٥٠.

(٢) سنن البيهقي الكبرى، كتاب الحج، باب الصلاة عند القدوم ج ٥ ص ٢٦٢ رقم ١٠١٦٨، وحسنه الألباني (الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة ج ٤، ص ٤٣٤).

(٣) سنن الترمذي، كتاب الحج، باب ما جاء في ثواب الحج والعمرة ج ٣ ص ١٥٧ رقم ٨١٠، مسند أحمد ج ١ ص ٣٨٧، رقم ٣٦٦٩، قال الألباني: حسن صحيح (الألباني، صحيح سنن الترمذي، ج ١، ص ٢٤٥).

(٤) مسند الربيع، كتاب الصلاة، باب فضل الصلاة، ج ١، ص ١٢٢، حديث رقم ٢٩١.

(٥) الصباحي أحمد عوض الله، الاستشفاء بالقرآن الكريم ص ٥٢.

العالم، وإغاثتهم بها، عملاً بقوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾^(١).

ثالثاً: الوقاية الصحية في ماء زمزم:

من سنن الحج والعمرة الشرب من ماء زمزم، خير ماء على وجه الأرض،
فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم:
«خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم، فيه طعام الطعم، وشفاء السقم»^(٢).

وماء زمزم من أعظم المنافع الصحية للحاج والمعتمر، لخاصية الاستشفاء به الثابتة بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: ﴿ماء زمزم لما شرب له﴾^(٣)، وزاد الحاكم في المستدرك من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا: ﴿إن شربته تستشفى به شفاك الله، وإن شربته مستعيذا أعذك الله، وإن شربته ليقطع ظمأك قطعه الله﴾^(٤).

وهذا الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري جندب بن جنادة - رضي الله عنه - بقي ثلاثين يوما وليلة ليس له طعام ولا شراب إلا زمزم فسمن حتى بدت عكن بطنه، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه في قصة إسلام أبي ذر، أنه لما جاء إلى مكة ودخل الحرم، بقي فيه ثلاثين يوما، قال أبو ذر: وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم - حتى استلم الحجر، فطاف بالبيت هو وصاحبه، ثم صلى، فلما قضى صلاته، كنت أول من حياه بتحية الإسلام.

قال: فقلت: السلام عليك يا رسول الله.

فقال وعليك ورحمة الله، ثم قال: من أنت ؟

(١) سورة الحج، الآية ٢٨.

(٢) المعجم الكبير، الطبراني ج ١١، ص ٩٨، رقم ١١١٦٧، وقال المنذري في الترغيب والترهيب ج ٢، ص ٢٠٩ رواه ثقات، وحسنه السيوطي في الجامع الصغير ج ٣، ص ٤٨٩

(٣) سنن ابن ماجه، كتاب المناسك، باب الشرب من زمزم ج ٢ ص ١٠١٨ رقم ٣٠٦٢، سنن البيهقي، كتاب الحج، باب سقاية الحاج والشرب من زمزم، ج ٥ ص ١٤٨ رقم ٩٤٤٢، قال الألباني: صحيح (الألباني، صحيح سنن ابن ماجه، ج ٢، ص ١٨٣).

(٤) الحاكم، المستدرک علی الصحیحین کتاب المناسک، ج ١، ص ٦٤٦، رقم ١٧٣٩.

قال: قلت: من غفار.

ثم قال: متى كنت هاهنا؟

قال: قلت: قد كنت هاهنا منذ ثلاثين بين يوم وليلة.

قال: فمن كان يطعمك؟

قال: قلت: ما كان لي طعام إلا ماء زمزم، فسمنت حتى تكسرت عكن بطني، وما أجد على كبدي سخفة جوع.

قال - صلى الله عليه وسلم - ﴿إنها مباركة، إنها طعام طعم﴾^(١)

يقول الإمام ابن القيم: (شاهدت من يتغذى به - ماء زمزم - الأيام ذوات العدد، قريبا من نصف الشهر وأكثر، ولا يجد جوعا، ويطوف مع الناس كأحدهم، وأخبرني أنه ربما بقي عليه أربعين يوما)^(٢)

(وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان أهل مكة لا يشكون ركبهم، ولا يسابقون أحدا إلا سبقوه، ولا يصارعون أحدا إلا صرعوه، حتى رغبوا عن ماء زمزم فبذل بهم)^(٣).

إن هذا الأثر يفيد أن أهل مكة كانوا مشهورين بقوة أجسامهم الغالبة، وبتفوقهم وفوزهم على كل من سابقهم أو صارعهم، ولعل من أبرز أسباب تلك القوة، وتقدمهم وفوزهم على غيرهم، هو عكوفهم على شرب ماء زمزم، وتضلعتهم منه، فشملتهم البركة الزمزية، مع ما تميزوا به من قوة بدنية، ومهارة فنية، فاجتمعت لهم الأسباب الحسية والمعنوية، إذ كان ماء زمزم هو الماء المبارك والشفاء، والطعام والغذاء^(٤).

(١) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي ذر ج ٤ ص ١٩١٩، رقم ٢٤٧٣.

(٢) ابن القيم، زاد المعاد ج ٤، ص ٣٩٣

(٣) محمد بن اسحق الفاكهي، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه ج ٢ ص ٤٦؛ السيوطي، الدر المنثور ج ٤، ص ١٥٦.

(٤) الحسني حمد ابن علوي المالكي، صلة الرياضة بالدين، ص ١٢٨.

وبما أن الحج خامس أركان الإسلام، وهو فريضة على كل مسلم بالغ عاقل قادر على أدائه، والمقدرة الصحية هي أحد أركان القدرة المعنية هنا، فقد رأى الباحث أن يذكر بعض الإجراءات الوقائية لحجاج بين الله الحرام، تساعد على تفادي الكثير من المشاكل الصحية، والتي ينبغي تبصيرهم بها، وتوعيتهم قبل ذهابهم في هذه الرحلة الروحانية، ومنها:

- ١- المحافظة على النظافة في البدن والملبس والمسكن، فهي عنصر هام للوقاية من الأمراض.
- ٢- أخذ قسط وافر من الراحة قبل وبعد كل عمل من أعمال الحج، يعيد للجسم حيويته ويعينه على تأدية بقية أعمال الحج.
- ٣- أن يأخذ التحصينات اللازمة والأمصال ضد الأمراض المعدية.
- ٤- اقتضت حكمة الله - عز وجل - أن تكون مكة المكرمة وما حولها من المناسك واقعة ضمن المناطق الحارة غالب أيام السنة، ولعل في ذلك وقاية للحج مما يسببه البرد القارس من عوائق وأمراض وما كان سيحتاجه من احتياطات وملابس لا تتناسب مع أعمال الحج، وإن كان لشدة الحر أيضاً سلبيات لكنه يمكن تفاديها بسهولة كما يلي:
- أ - استخدام المظلات، لتفادي حرارة الشمس وتجنب الإصابة بضربات الشمس.
- ب - ارتداء الإحرام أو الملابس الخفيفة يوفر للجسم الراحة وعدم الشعور بالإجهاد من شدة الحر والزحام.
- ج - الإكثار من شرب السوائل كالماء والعصير واللبن وغيره.
- د - ينبغي للحاج ألا يكثر التردد في الطرقات وخاصة وقت الظهيرة إلا لما لا بد منه المناسك، وقضاء الحاجات الضرورية.

٥ - على الحاج أن يستمع إلى نصائح الجهات التنظيمية المختصة من شرطة وأطباء ودفاع مدني وغيرهم، وألا يلجأ إلى مخالفتهم بشتى الحيل، فإن خدماتهم الوقائية تصب في مصلحته.

٦ - أن يتسع خلق الحاج، فلا يغضب لأنفه الأسباب بل يصبر ويحتسب الأجر عند الله، ففي ذلك من الراحة النفسية ما يجعله بعيداً عن التوتر والأزمات النفسية والعضوية.

٧ - أن يعرف كيف يتصرف في حالة الطوارئ والخطر، ويدرب نفسه للتعامل مع الأزمات، وهذا في الحقيقية ينبغي أن يكون جزءاً من ثقافة الحاج.

أما واجبات الدولة الإسلامية فكثيرة ومنها:

١ - الاهتمام بالمرافق العامة والمناسك توسعة وتنظيفاً وتنظيماً وتوفير خدمات.

٢ - وضع الخطط والترتيبات اللازمة لإدارة الأزمات والكوارث وأن تكون هناك جاهزية عالية لمواجهتها.

٣ - وضع شروط للسلامة العامة في مساكن الحاج، وإلزام المقاولين وأصحاب العقارات باتباعها وتطبيقها بأقصى ما يمكن، وإيقاع العقوبة على المخالف.

٤ - أن تكون هناك توعية صحية بتجنيد مختصين ودعمهم.

هذه هي أمهات العبادات المشروعة في الإسلام وهذه جوانب من أسرارها التربوية الصحية وما هي إلا جوانب سطحية تحدثنا عنها، وإلا فعمق العبادات وأسرارها مما لا يمكن لمثلي أن يحيط به وأن يدرك مراميها، فإن العبادات لها مغازي وغايات تربوية جمة وعلينا أن نستلهم فوائدها من خلال تأملنا لطبيعة هذه العبادات، ومن خلال ممارستها بصدق وإخلاص و مواظبة النظر والتفكر فيها.

ومما ينبغي أن نأخذه في الحسبان أن هذه العبادات لا تنتج عنها تلك الآثار الوقائية الصحية بشكل كامل وواضح إلا إذا روعي فيها أمران وهما:

١ - أن تؤدي على الوجه الشرعي المأمور به، دون إخلال بشيء من أركانها أو سننها ومستحباتها، فالأطمئنان في الركوع والسجود والاعتدال في الصلاة واستكمال الهيئات الصحيحة فيها لا بد منه، والكف عن محارم الله في الصوم، ومراعاة آداب السحور والإفطار وعدم الإسراف في المأكل ليلاً أيضاً ضروري، وإعطاء الزكاة عن سماحة نفس وطيبة خاطر، وعدم المن بها على الفقراء واجب إذا ما أردنا قطف ثمارها الواقية، وهكذا سائر العبادات إنما تحصل وتكتمل فوائدها الوقائية إذا ما اكتمل وتم أدائها.

٢ - لا بد وأن تؤدي هذه العبادات المفروضة كلها، فلا يجتزى ببعضها ويترك الآخر فهي تتكامل مع بعضها، وأن يواظب على أدائها في مواقيتها، فإنه بذلك تحصل الآثار.

ومع هذا كله فلا يعني أن الإخلال ببعض شروط أداء هذه العبادات يجعل الأثر الوقائي الصحي لها منعدماً، بل يوجد ويتناسب طردياً مع درجة الإتيان حتى يكتمل مع الكمال.

المبحث الخامس: التربية الوقائية الصحية في أركان الإيمان

تعد أركان الإيمان وسائل وقائية للصحة النفسية، تحفظ المترابي عليها من الحيرة والاضطراب، وبدونها يكون الإنسان كالأعمى الذي يمشي في الصحراء بدون دليل وقائد، يتخبط هوة، ويشتاك شراً، وبدونها يفقد الإنسان السعادة الحقيقية، وبهجة العيش مهما أوتي من وسائل الرفاهية والمتع الجسدية.

أولاً: الإيمان بالله:

الإيمان بالله ضرورة حياتية، كالطعام والشراب، إذ لا سعادة للأفراد والمجتمعات بدونه، ويتفق علماء النفس على أن الحاجة إلى الدين حاجة ملحة نامية، يجب أن تشبع لدى الطفل من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية في البيت والمدرسة، فإذا ما بث الإيمان في نفس الإنسان منذ نعومة أظفاره، فإنه يكسبه مناعة ووقاية من الأمراض النفسية والانحرافات السلوكية^(١)، وقد وصف القرآن الكريم ما يحدثه الإيمان من أمن وطمأنينة في نفس المؤمن في هذه الآيات الكريمة:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾^(٢).

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(٣).

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٤)، ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٥).

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا

(١) انظر: الشريف، من علم النفس القرآني ص ١٩٤ عودة حمد وكمال إبراهيم، الصحة النفسية في ضوء

علم النفس والإسلام ص ١٠٤ - ١٠٦. نجاتي حمد عثمان، القرآن وعلم النفس ص ٢٤١ - ٢٤٢.

(٢) سورة الأنعام، الآية ٨٢.

(٣) سورة الرعد، الآية ٢٨.

(٤) سورة التغابن، الآية ١١.

(٥) سورة البقرة، الآية ١١٢.

تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ^(١).

(قد أثبتت الدراسات التربوية والأبحاث النفسية بأن ما أفرزته الحضارة المعاصرة في الدول المتقدمة ماديًا والمتخلفة روحياً من المعاناة والخواء العقائدي، هي التي أدت إلى انتشار الأمراض النفسية ونتائجها الوخيمة كالانهيار العصبي والانتحار والجنون، حتى أصبحت هذه مألوفة ونذر شؤم بانهيار تلك المجتمعات)^(٢).

إن الإيمان بالله خير ما يتزود به الفرد في الحياة للوقاية من الانحرافات النفسية لأنه يسبغ على نفس المؤمن الاطمئنان والثقة في عونه ورحمته وحفظه، والصبر على بلائه ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٣).

ويجب الاعتراف بأن ما نراه من بوارد الآفات والصراعات في بلداننا الإسلامية، إنما هو ناتج عن خلل في الإيمان بالله، وانحراف عن التربية الإسلامية والتنظيم الذي وضعه لنا الخالق عز وجل، ولا سبيل إلى العلاج الناجع إلا بالعودة إلى الإيمان لأنه هو العاصم، فهو يحول بين الإنسان وبين ارتكاب أية معصية واقتراف أي سوء، فهو شرطي النفوس وراقيها الدائم، وإذا ما ربي وغرس هذا الرقيب في النفس، كان فيه كل الخير للإنسان من الناحية العضوية والنفسية وحفظ للمجتمع من المفساد والشرور.

لقد سمعت وأنا أكتب هذا المبحث أن أميركا تتفق ما يقارب أربعة مليارات دولار سنوياً على علاج الأمراض النفسية من قلق ورهاب وذهان وصرع واكتئاب إلى غيرها من قائمة الأمراض، وهذا ليس نتيجة حروب أو فقر وحرمان بل نتيجة فقد الإيمان بالله ولا شك^(٤).

(١) سورة فصلت، الآية ٣٠.

(٢) محمود الحاج قاسم محمد، الطب الوقائي النبوي ص ٥١.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٣٩.

(٤) برنامج بثته قناة الجزيرة الفضائية يوم ٢٠٠١/٤/٩م الساعة ١١،٣٠ مساءً بتوقيت مكة المكرمة.

ثانياً: الإيمان بالملائكة:

فهم يحفظون البشر، حيث يشير الحق إلى ذلك في قوله: ﴿لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ يَمِينِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾^(١)، فإن لله تعالى ملائكة يتعاقبون على الإنسان بالليل والنهار، فإذا صعدت ملائكة الليل جاء في عقبها ملائكة النهار، وإذا صعدت ملائكة النهار جاء في عقبها ملائكة الليل.

قال مجاهد: ما من عبد إلا وله ملك موكل به، يحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام، فما منهم شيء يأتيه يريد أن يقول وراءك! إلا شيء يأذن الله فيه فيصيبه.

قال كعب الأحبار: لولا أن الله عز وجل وكل بكم ملائكة يذبون عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم لتخطفكم الجن^(٢).

وفي الإيمان بهم وبقرّبهم من الإنسان ما يعطي شعوراً بالأنس والراحة، يقول سعيد النورسي: (حكم علي ذات مرة بالسجن الانفرادي ومنعت عني كتبي وأثاري، كما منعوا الزيارة عني حتى صرت في غاية الوحشة، وأحسست بأن الدنيا مثل الخبرة لا أنيس فيها ولا جليس، وفجأة قلت لنفسي: أنت لست وحدك، إن معك على الأقل مرافقين اثنين من الملائكة الكرام يسجلان عليك أعمالك فلم لا تستأنس بهما خاصة وأنهما موكلان بك لا يفارقانك ليلاً ونهاراً، فشعرت بالراحة وبدأت أفكر في عالم الملائكة، ودعوت الله قائلاً: اللهم أسألك بحرمة جبرائيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل أن تبدل خوفي واضطرابي أمناً وأنسا ومحبة، فزال عني الشعور بالغربة والوحشة وعادت إلي روعي والحمد لله، وهذا الحال من فضل الله، بخلاف أهل الزيف والضلال فإن أحدهم إذا وقع في أدنى ضيق أغتم وضجر لفقدانه الإيمان بعالم الغيب)^(٣).

(١) سورة الرعد، آية ١١.

(٢) أنظر: ابن كثير، تفسير ابن كثير ج ٢، ص ٦٦٢، الشوكاني، فتح القدير ج ٣/ص ٩٩، البغوي تفسير البغوي ج ١، ص ٢٩٩، البيضاوي، تفسير البيضاوي ج ١، ص ٣٢١، وهناك آراء أخرى في تفسير الآية.

(٣) النورسي سعيد، عصا موسى ص ٧٩.

ثالثاً: الإيمان بكتب الله:

والقرآن الكريم وإن كان هو في المرتبة الأولى كتاب هداية ورحمة وإعجاز فقد ورد فيه من الآيات ما يدل على أن فيه شفاء لما في الصدور ووقاية من الآفات، وحسبنا أن نقرأ هذه الآيات: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ»^(١)، «وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا»^(٢)، «وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ»^(٣).

كما ثبت في السنة أن القرآن وقاية من غوائل الشيطان، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: وكلني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بحفظ زكاة رمضان، فأتاني أت فجعل يحثوا من الطعام، فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فذكر الحديث، فقال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي، لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - صدقك وهو كذوب ذاك شيطان^(٤).

كما وردت الأحاديث في فضل سورة الإخلاص مع المعوذتين وأن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يقرأهن كل ليلة عند النوم للوقاية من الأمراض وشر المخلوقات، من ذلك ما روي عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما، فقرأ فيهما: قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسمه، يبدأ بهما على رأسه ووجهه، وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات^(٥).

(١) سورة يونس، الآية ٥٧.

(٢) سورة الإسراء، الآية ٨٢.

(٣) سورة فصلت، الآية ٤٤.

(٤) صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده ج ٣ ص ١١٩٤ رقم ٣١٠١.

(٥) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب فضل المعوذات ج ٤ ص ١٩١٦ رقم ٤٧٢٩، سنن

الترمذي: كتاب المناقب، باب فيمن قرأ القرآن عند المنام ج ٥ ص ٤٧٣ رقم ٣٤٠٢.

وإذا أردنا أن نستأنس بما أجري من تجارب علمية حديثة في هذا الشأن، فقد أجرت مؤسسة العلوم الطبية الإسلامية بمدينة (بنما سيتي)^(١) مائتين وعشر تجارب على خمسة متطوعين أصحاء: ثلاثة ذكور وأنثيين، متوسط أعمارهم اثنتان وعشرون سنة، وكل هؤلاء كانوا من غير المسلمين، ومن غير الناطقين باللغة العربية .

تُليت على المتطوعين قراءات قرآنية مجودة خلال (٨٥) تجربة، وتليت عليهم قراءات عربية غير قرآنية خلال (٨٥) تجربة أخرى، وقد روعي في القراءات الأخيرة أن تكون القراءة باللغة العربية المجودة، بحيث تكون مطابقة للقراءات القرآنية من حيث الصورة واللفظ والوقع على الأذن، ولم يستمع المتطوعون لأي قراءة خلال (٤٠) تجربة، سميت بتجارب الصمت كان المتطوعون فيها جالسين جلسة مريحة، وأعينهم مغمضة، وهي الحالة التي كانوا عليها خلال ال (١٧٠) تجربة السابقة، وقد تبين أن الجلسات الصامتة ليس لها أي أثر.

وقد استطاعت المراقبة الدقيقة لأجهزة الكمبيوتر أن تأتي بنتائج واضحة، يمكن الاعتماد عليها كمؤشرات لمتغيرات ثابتة، تبدأ من عندها أي تجارب مستقبلية، وأثبتت القياسات المسجلة نتائج إيجابية بنسبة (٦٥٪) في تجارب القراءات القرآنية، وهذا يدل على أن الجهد الكهربائي للعضلات كان أكثر انخفاضاً، تأكيداً على أثر مهدئ للتوتر بينما ظهر هذا الأثر في (٣٥٪) فقط من تجارب القراءات غير القرآنية.

وقد أمكن تكرار هذه النتائج الإيجابية للألفاظ القرآنية، بالرغم من إعادة تغيير ترتيبها بالنسبة للقراءات الأخرى، مما أكد الثقة في هذه النتائج مرة ثالثة، مما يفتح مجالاً جديداً وواسعاً لعدد كبير من الافتراضات والاحتمالات المستقبلية.

واستناداً إلى القواعد الطبية الثابتة، وهي أن التوتر يؤدي إلى نقص مناعة الجسم ضد أي مرض، فإنه من المنطق أن التأثير القرآني المهدئ للتوتر يمكن أن يؤدي إلى تنشيط وظائف المناعة في الجسم، والتي بدورها ستحسن من قابلية الجسم

(١) إحدى مدن ولاية فلوريدا الأمريكية.

خامساً: الإيمان باليوم الآخر:

الإيمان باليوم الآخر هو الذي يجعل الإنسان يضبط سلوكه فلا يعتدي على الآخرين بغير وجه حق، مسبباً لهم الأضرار في نفوسهم وأبدانهم، وفي هذا من الوقاية الصحية الشيء الكثير، حيث تقل جرائم الاعتداء ويأمن الناس من بعضهم البعض.

لذلك كان الإيمان باليوم الآخر وما فيه من حساب وجزاء (شرطة تراقب الإنسان في كل حال من أحواله ومحكمة لا يستطيع الجاني فيها أن يفلت من نظر شهودها ولو بأية حيلة من الحيل، وعندها كتاب سجل فيه كل عمل من أعماله بل وكل هاجسة من هواجسه، وأحكامها قائمة على العدل والقسط، فلا إمكان لأن يسلم فيها المسيء من عقابه أو المحسن من ثوابه) ^(١).

إضافة إلى ذلك يعطي الإيمان باليوم الآخر الشعور بالراحة النفسية والسمو الروحي نتيجة معرفة الإنسان لمصيره وأن ليست الحياة الدنيا الفانية هي الحياة فقط، بل أنها لا تسوى شيئاً أمام الحياة الآخرة الباقية (وعلى ضوء هذه المعرفة يمكن للإنسان أن يحدد هدفه، ويرسم غايته، ويتخذ من الوسائل والذرائع ما يوصله إلى الهدف، ويبلغ به الغاية، ومتى فقد الإنسان هذه المعرفة فإن حياته سوف تبقى حياة لا هدف لها، ولا غاية منها، وحينئذ يفقد الإنسان سموه الروحي، وفضائله العليا، ويعيش كما تعيش الانعام، تسيرها غرائزها الطبيعية، واستعداداتها الفطرية، وهذا هو الانحطاط الروحي المدمر لشخصية الإنسان) ^(٢).

سادساً: الإيمان بالقضاء والقدر:

لقد كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يربي الصغار على معاني التسليم المطلق لله منذ سنيهم الأولى، ويغرسها في نفوسهم، فقد روي عن ابن عباس - رضي الله

(١) حوى سعيد، الإسلام ص ٨١٤.

(٢) سابق السيد، العقائد الإسلامية ص ٢٥٩.

عنهما - قال: كنت خلف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوماً فقال: ﴿إيا غلام إنني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقالم وجفت الصحف﴾^(١)، وفي رواية: ﴿احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وإن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً﴾^(٢).

(فالاعتقاد الراسخ بالقضاء والقدر القائم على التسليم والرضى، بقي المؤمن من كثير من الصدمات النفسية، وأمراض العصر مثل: ارتفاع ضغط الدم المفاجئ، وارتفاع نسبة السكر في الدم، أو تضخم الغدة الدرقية)^(٣).

ولذلك شواهد من التاريخ، فهذه الخنساء - رضي الله عنها - يموت أخوها صخر في الجاهلية فتملأ الدنيا بكاء ورتاء، ولكنها عندما دخلت الإسلام وعمر قلبها بهذه العقيدة، تنبأ باستشهاد أولادها الأربعة في وقعة اليرموك فنقول: (الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وارجوا الله أن يجمعني بهم في مستقر رحمته)، ومن يدري لولا هذا الإيمان الراسخ ما كان سيصيبها من الأمراض التي كثيراً ما سمعنا عن أناس أصيبوا بها، لدى سماعهم أخباراً مؤلمة نتيجة عدم تسليحهم بعقيدة القضاء والقدر، من سكتة قلبية، أو ذبحة صدرية، أو شلل، أو نزيف داخلي.

(١) سنن الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة، ج ٤، ص ٤٦٥، رقم (٢١٥٦) وقال عنه حسن صحيح.

(٢) مسند احمد، ج ١ ص ٣٠٧ رقم (٢٨٠٤).

(٣) عبدالله إبراهيم موسى، المسؤولية الجسدية في الإسلام ص ١٤٧.

الفصل الثاني

التربية الوقائية الصحية لحفظ

النفس والعقل

المبحث الأول: التربية الوقائية الصحية لحفظ النفس

المبحث الثاني: التربية الوقائية الصحية لحفظ العقل

الفصل الثاني

التربية الوقائية الصحية في حفظ النفس والعقل

(النفس هي ذلك الوجود الحسي الواعي المتكامل الشامل للروح والجسد المتلازمين الذين لا ينفصل أحدهما عن الآخر)^(١).

فمن ضروريات الحياة الصالحة عصمة النفس وصوت حق الحياة، ويقصد به حفظ الشخصية الإنسانية في جانبها المادي والمعنوي:

فالجوانب المادية الشخصية الإنسانية تتمثل في حق الحياة وسلامة الجسم وسائر أعضائه من التعرض للإتلاف والقطع والضرب والجرح.

أما الجوانب المعنوية فتتمثل في صيانة الكرامة والمبادئ والمعتقدات، والحريات والحقوق^(٢).

والعقل هو: (القوة المفكرة التي يدرك بها الإنسان حقائق الأشياء، وهو الذي استعد به الإنسان لقبول العلوم النظرية، وتدبير الصناعات الخفية الفكرية)^(٣).

وحفظ العقل هو أيضاً إحدى ضرورات الحياة الخمس التي لا تستقيم الحياة الطيبة النافعة بغيرها.

والمقصود بحفظه: (صيانته من أن تتاله آفة تجعل صاحبه عبئاً على المجتمع، ومصدر شر وأذى له)^(٤).

وسيتحدث الباحث في هذا الفصل عن التربية الوقائية الصحية لحفظ هذين المقصدين (النفس والعقل) في مبحثين:

-
- (١) الزحيلي وهبة، الأصول العامة لوحة الدين الحق، ص ١٣٠.
 - (٢) الدريني فتحي، خصائص التشريع الإسلامي، ص ٢٤٢، الإبراهيم محمد عقله، الإسلام مقاصده وخصائصه، ص ١٦٥.
 - (٣) الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ١، ص ٧٥، الزحيلي، الأصول العامة لوحة الدين الحق، ص ١٣٦.
 - (٤) أبو زهرة محمد، أصول الفقه، ص ٣٦٨.

المبحث الأول: التربوية الوقائية الصحية لحفظ النفس

الإنسان في الشريعة الإسلامية مخلوق مكرم ذو منزلة رفيعة، من الله عليه من بين مخلوقاته قاطبة فأضفى عليه من الصفات العليا في تكوينه البدني والعقلي والنفسي ما جعله أفضل المخلوقات وأكرمها، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾^(١).

كما ميزه الله سبحانه بتركيبة فريدة وتصوير بديع، يقول تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾^(٢)، وزوده بالعقل والحواس المختلفة التي تمكنه من استغلال الأرض وتعميرها ليحقق بذلك وظيفة الخلافة والاستخلاف في الأرض.

ولهذه المنزلة السامية للإنسان في الإسلام، اقتضت حكمة الله - عز وجل - أن يشرع له من عوامل الوقاية والمحافظة على حياته وبقائه ما يتناسب مع أهميته ومكانته وهذه المنزلة التي وهبها له، وهذا ما سنحاول توضيحه في المطالب التالية:

المطلب الأول: تحريم قتل الإنسان لغيره:

يعد القتل من أخطر الجرائم التي تهز كيان البشرية، لما فيه من إتلاف فوري لنفس الإنسان وإزهاق لروحه، فلا غرو إذا جاءت الشريعة الإسلامية بتحريمه والوعيد الشديد لمرتكبه والإغلاظ له في العقوبة، كما دلت على ذلك نصوص كثيرة من الكتاب والسنة، فمن الكتاب:

١ - قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾^(٣).

٢ - قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ

(١) سورة الإسراء، الآية ٧٠.

(٢) سورة التين، الآية ٤.

(٣) سورة الإسراء، الآية ٣٣.

إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ^(١).

ومن السنة:

١ - قوله صلى الله عليه وسلم: «اجتنبوا السبع الموبقات، قيل: يا رسول الله، وما هن؟ قال الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق»^(٢).

٢ - قوله صلى الله عليه وسلم: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة»^(٣).

٣ - قوله صلى الله عليه وسلم: «لئن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً»^(٤). وقال ابن عمر: «إن من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله»^(٥).

ولعظم قتل النفس البريئة جاء ترتيب هذا الجرم بعد الشرك بالله من بين الكبائر، فقد روي عن ابن مسعود في تفسير قوله تعالى: «وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ» قال: قال رجل، يا رسول الله، أي الذنب أكبر عند الله؟ قال: (أن تدعو لله نداً وهو خلقك). قال: ثم أي؟ قال: (ثم أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك) قال: ثم أي؟ قال: (ثم أن تزاني حليلة جارك). فأنزل الله - عز وجل - تصديقها: «وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا

(١) سورة الأنعام، الآية ١٥١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب قول الله أن الذين يأكلون أموال اليتامى، ج ٣، ص ١٠١٧ رقم

١٢٦١٥

صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، ج ١، ص ٩٢ رقم (٨٩).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الديات، باب قول الله تعالى أن النفس بالنفس، ج ٦، ص ٢٥٢١ رقم ١٦٤٨٤

مسلم، صحيح مسلم، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص، باب ما يباح به دم المسلم، ج ٣، ص ١٣٠٢

رقم ١٦٧٦.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الديات، ج ٦، ص ٢٥١٧ رقم الحديث ٦٤٦٩.

(٥) ابن حجر، فتح الباري ج ١٢/ص ١٨٨.

يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا^(١). ويقول الإمام القرطبي في تفسير هذه الآية: (ودلت هذه الآية على أنه ليس بعد الكفر أعظم من قتل النفس بغير الحق، ثم الزنا)^(٢).

وروى الإمام البخاري عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: ﴿أَكْبَرُ الْكِبَائِرِ الْإِشْرَاقُ بِاللَّهِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَعَقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَقَوْلُ الزُّورِ- أَوْ قَالَ: وَشَهَادَةُ الزُّورِ﴾^(٣).

وقال الإمام ابن العربي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا لَقِئْتُمْ نَحْسًا تَرِزُّقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾^(٤): (وذلك لأن القتل أعظم الذنوب، إذ فيه: إذابة الجنس، وإيثار النفس، وتعاطي الوحدة التي لا قوام للعالم بها، وتخلق الجنسية الأدمية بأخلاق السبعية)^(٥).

لهذا كله يعد القتل في الشريعة الإسلامية أعظم ذنب بعد الشرك بالله.

ولعظم قتل النفس البريئة قرنه الله -عز وجل- بالذنب الذي لا يغفر وهو الشرك، فقد روى الإمام أبو داود عن أبي الدرداء -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ﴿كُلُّ ذَنْبٍ عَسَى أَنْ يَغْفِرَهُ اللَّهُ إِلَّا مَنْ مَاتَ مُشْرِكًا أَوْ مِنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾^(٦).

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر، ج ٤، ص ١٧٨٤ رقم ٤٤٨٣.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٣، ص ٧٦.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين، ج ٥، ص ٢٢٣١ رقم ٥٦٣٢.

(٤) سورة الإسراء، الآية ٣١.

(٥) ابن العربي، أحكام القرآن، ج ٣، ص ١٢٠٥.

(٦) سنن أبي داود، كتاب الفتن والملاحم، باب في تعظيم قتل المؤمن، ج ٤، ص ١٠٣، رقم ٤٢٧٠. قال

الشيخ الألباني: صحيح (الألباني، صحيح سنن أبي داود ج ٣، ص ٨٠٤).

١ سنن النسائي، كتاب تحريم الدم، باب تحريم الدم، ج ٧، ص ٨١، رقم ٣٩٨٤.

القتل أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة:

ومما يدل على عظم شأن قتل النفس والاعتداء على حرمة الإنسان أنه أول ما يقضى فيه بين الناس يوم القيامة، وما ذلك إلا لأهميته وخطورته.

فقد روى الإمام البخاري عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنهما- قال: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: ﴿أول ما يقضى بين الناس في الدماء﴾^(١).

وقال الحافظ ابن حجر تعليقاً على هذا الحديث: (وفيه عظم أمر القتل لأن الابتداء إنما يقع بالأهم...) (٢).

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه لا تعارض بين مقتضى هذا الحديث، ومقتضى حديث أبي هريرة عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: ﴿أن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله الصلاة﴾^(٣).

لأن هذا الحديث في أعمال العبد الخاصة به، والحديث السابق في الحقوق التي بينه وبين غيره، كما يقول الإمام الخرشي: (إن هذا الحديث في خاصة أعمال العبد نفسه، والحديث الأول فيما بين العبد وبين غيره)^(٤).

ومما يكشف عن أهمية حفظ النفس في التربية الإسلامية، وهول جريمة قتلها الذي يجعل المؤمن يرتعد خوفاً منها أنه لو اشترك أهل السماء والأرض في قتل رجل مؤمن واحد لكان ذلك موجباً لدخولهم النار جميعاً.

ومما يدل على ذلك قوله -صلى الله عليه وسلم-: ﴿لو أن أهل السماء والأرض اشتركوا في دم مؤمن لأكبهم الله في النار﴾^(٥).

(١) صحيح البخاري، كتاب الديات، ج ٦، ص ٢٥١٧، رقم ٦٤٧١.

(٢) ابن حجر، فتح الباري، ج ١٢، ص ١٩٦.

(٣) سنن الترمذي، كتاب الصلاة، باب أول ما يحاسب به العبد، ج ٢، ص ٢٦٩، رقم ٤١٣، قال الترمذي: حسن غريب.

(٤) الخرشي، شرح الخرشي على مختصر سيدي خليل، ج ٨، ص ٢.

(٥) سنن الترمذي، كتاب الديات، باب الحكم في الدماء، ج ٤، ص ١٧، رقم ١٣٩٨، وصححه الألباني، (الألباني، صحيح سنن الترمذي ج ٢، ص ٥٧).

كما جاء في شأن تعظيم جريمة قتل المؤمن ظلماً، قوله -صلى الله عليه وسلم-: «والذي نفسي بيده لقتل مؤمن أعظم من زوال الدنيا»^(١).

المطلب الثاني: تحريم الانتحار:

الانتحار هو إزهاق الروح، نقول: انتحر الرجل: قتل نفسه بوسيلة ما، والمنحر موضع النحر في الحلق^(٢).

وقد حرم الإسلام الانتحار وهو قتل الإنسان لنفسه، لأن في ذلك اعتداء على هبة الله ووديعته في الجسم وهي الروح، التي لا يجوز له بأي حال المساس بها، إضافة إلى ما في ذلك من اعتراض على قدر الله ويأس من رحمته، ولا يقدم على ذلك إلا ضعيف الإيمان أو معدومه.

وأكثر ما يقع الانتحار عند غير المسلمين، والسبب في ذلك أن الإسلام يحرم الانتحار ويجعله سبباً للخلود في نار جهنم، كما سيأتي في أدلة تحريمه، ومن جهة ثانية تزرع التربية الإسلامية في نفوس أبنائها من الطمأنينة والرضا، وبعث الأمل واحتساب الأجر في الآخرة ما يبعدها عن وساوس الشيطان بالإقدام على هذا الفعل.

أما غير المسلمين فما أكثر جرائم الانتحار في بلادهم، بل هي في ازدياد مستمر، رغم ظروفهم المعيشية الجيدة التي هي أعلى نسبياً مما عليه عامة المسلمين، ويؤكد ذلك أرقام إحصائياتهم فقد أفاد بعضها أن حالات الانتحار في إنكلترا وويلز قد ارتفع خلال عام ١٩٨٩م بنسبة ٦٪، وذكرت إحصائيات مكتب الإحصاء السكاني والبيانات أن ٤٤٢٠ شخصاً قد قتلوا أنفسهم خلال العام نفسه، مقارنة مع ٣٩٨٦ شخصاً في عام ١٩٨٧م^(٣).

(١) سنن النسائي، كتاب تحريم الدم، باب تعظيم الدم، ج٧، ص٨٢، رقم ٣٩٨٦، وصححه الألباني.

(٢) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ج٢، ص٩٠٦.

(٣) مجلة النور الكويتية، العدد ٧٦ للسنة السابعة ص٥٦، مقال تحت عنوان (إخباريات) نقلاً عن: عبد الله إبراهيم، المسؤولية الجسدية في الإسلام ص٤٣.

والم تأمل لهذه الأرقام تبدوا له وكأنها ضرب من الخيال إذا ما قورنت بنسبة المنتحرين في البلاد الإسلامية، والتي تكاد تكون نادرة الحدوث وتعد بالآحاد، وفي ذلك دليل قاطع على أثر التربية الإسلامية وما تصنعه في النفوس من التحمل والصبر على مشاق الحياة وغصصها فتحجبها عن الإقدام على مثل هذا الداء العضال.

أدلة تحريم الانتحار:

الم تأمل لنصوص الكتاب والسنة يراها حافلة بكثير من الأدلة التي تحذر من الانتحار وتتوعد مرتكبه بسوء العاقبة وغاية ما ترمي إليه من هذا التحذير والوعيد هو المحافظة على سلامة النفس الإنسانية ووقايتها من الهلاك.

فمن القرآن الكريم:

جاء في كتاب الله - عز وجل - التحذير من أن يتلف الإنسان نفسه في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾^(١) ثم بين العقوبة التي تترتب على هذا القتل إذا قال عز وجل بعد ذلك: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ غَدَاً أَوْ ظُلْمًا فُسُوفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾^(٢) وقال سبحانه: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾^(٣).

ومن السنة الشريفة:

جاء في الأحاديث الصحيحة عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - بيان سوء عاقبة المنتحر، وأنه مثلما انتحر في الدنيا فسينتحر في نار جهنم بنفس الأداة ونفس الكيفية ليدوق وبال أمره، ومن هذه الأحاديث: قوله - صلى الله عليه وسلم - «لَمَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهَا خَالِدًا مُخْلَدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَحَسَّى سَمًا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَسَمُهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخْلَدًا فِيهَا

(١) سورة النساء، الآية ٢٩.

(٢) سورة النساء، الآية ٣٠.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٩٥.

أبدأ، ومن قتل نفسه بحديدة فحديده في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً^(١).

وقوله: «الذي يخنق نفسه يخنقها في النار، والذي يطعنها يطعنها في النار»^(٢) وجاء عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قوله: «لأن برجل جراح فقتل نفسه، فقال الله: بدرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة»^(٣).

ومما يكشف عن قباحة هذه الجريمة وعظم جرم من يرتكبها، وضرورة التنبير منها بشتى الوسائل، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد رفض أن يصلي على قاتل نفسه، كما جاء في حديث جابر بن سمرة -رضي الله عنه- قال: أتني النبي -صلى الله عليه وسلم- برجل قتل نفسه بمشاقص فلم يصل عليه^(٤).

وهكذا فإن التربية الإسلامية تعتبر كل مهلك للنفس انتحاراً، يجازى عليه الإنسان، فتعاطي الخمر والمخدرات يعد من ضروب الانتحار لما تسببه هذه الآفات من فقدان للعقل ومن مضاعفات مرضية تؤدي إلى إتهاك الجسم والفتك به، ومن أجل ذلك حرّمها الإسلام ورتب العقوبة على مرتكبها كما سنوضح ذلك في مقصد حفظ العقل^(٥).

ومن أخطر وسائل الانتحار أيضاً التدخين، هذه الآفة التي تساهل الناس فيها تساهلاً شديداً من غير مبالاة بعواقبها الوخيمة، فالتدخين انتحار بلا شك ولا ريب، تدل على ذلك ضحاياه في العالم التي تقدر بعشرة أضعاف ضحايا مرض فقدان المناعة (الإيدز)، ففي كل عام يموت بسبب التدخين عشرة أضعاف الذين يموتون بالإيدز، وفي كل عام يموت بسبب التدخين مئات الأضعاف ممن يموتون بسبب تعاطي المواد المخدرة وذلك لأن المخدرات الأخرى تلقى مقاومة، بينما التدخين

(١) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب شرب السم، ج ٥، ص ٢١٧٩، رقم ٥٤٤٢.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما جاء في قاتل النفس، ج ١، ص ٤٥٩، رقم ١٢٩٩.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما جاء في قاتل النفس، ج ١، ص ٤٥٩، رقم ١٢٩٨.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب ترك الصلاة على القاتل نفسه ج ٢، ص ٦٧٢، رقم ٩٧٨.

(٥) ورد في تقرير لمنظمة الصحة العالمية: أن أربعة ملايين شخص يلقون حتفهم بسبب التدخين كل عام (منظمة الصحة العالمية، لا تتدع فالتبع قتال، ص ٦، ٢٠٠٠/٥/٣١ م).

يروج له من خلال وسائل الإعلام وتسامحت فيه المجتمعات والحكومات، حتى أن الإنسان ليأخذه العجب كيف تحارب الحكومات المواد المخدرة وتحارب تجارتها، ولا تحارب التدخين الذي تقشّى بشكل غريب وصار يتلف الأنفس إتلافاً كبيراً^(١).

وقد تحدث كثير من الأطباء^(٢) عن أمراض التدخين وعن ضحاياه بما لا يدع مجالاً للشك في أن التدخين يدخل ضمن الانتحار الذي حرّمه الله تبارك وتعالى، وجاء به الوعيد في آيات الكتاب العزيز وفي سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم -، ومع ذلك نجد كثيراً ممن ينتسبون إلى العلم والتربية وأغلبهم الذين أسرتهم عادة التدخين يماحكون زوراً وبهتاناً في مضاره وبالتالي حرمة تعاطيه إما أن يكون اتباعاً لهوى النفس، أو تغطية لعييب الاستئثار لهذه العادة السيئة، وليس للقول بحل التدخين أي وجه في عصرنا، بعد أن أفاضت الهيئات العلمية الطبية في بيان أضراره، وسيء آثاره، وعلم بها الخاص والعام، وأيدتها لغة الأرقام.

والضرورات الخمس التي قصدت الشريعة الإسلامية المحافظة عليها، وأوجبت الحرص على عدم الإضرار بها وهي الدين والنفس والعقل والنسل والمال، كلها تتأثر بالتدخين، فدين الإنسان يتأثر، فمن الناس من لا يصوم رمضان لأنه لا يستطيع في زعمه أن يمتنع عن التدخين، والنفس والعقل يتأثران بصنوف شتى من الأمراض، والنسل يتضرر بتدخين أحد الأبوين، بل أن الجنين يتضرر من تدخين أمه^(٣)، بما يعني أن المدخن لا يضر بنفسه فقط وإنما يضر بغيره، وهناك ما يسمى الآن بالتدخين القسري، أو التدخين بالإكراه^(٤)، فيدخل الإنسان رغم أنفه وهو لا يتناول السيجارة، وإنما يستنشقه قهراً عندما يجلس في بيئة المدخنين، وقد صدرت

(١) أنظر: الخليلي من ضروب الانتحار، ص ٢٣.

(٢) أنظر كتاب مضار التدخين: الدكتور محمد علي البار، فقد بين في كتابه هذا أكثر من مائة مرض تنشأ عن التدخين من بينها السرطان وأمراض القلب والشرابيين، وانظر: الأبعاد الصحية لمشكلة التدخين (منشورات منظمة الصحة العالمية، منشور خاص بمناسبة اليوم العالمي للامتناع عن التدخين ٣١/ أيار/ مايو ٢٠٠٠م).

(٣) انظر هذه الأضرار في: منشورات منظمة الصحة العالمية، اليوم العالمي لمكافحة التدخين، ٣١/ ٥/ ١٩٩٧.

(٤) منشورات منظمة الصحة العالمية، قل لا، ص ٤٢، المكتب الإقليمي للشرق الأوسط ٣١/ ٥/ ٢٠٠٠م.

أحكام في الولايات المتحدة والسويد تقضي بتعويض للمتضررين يتحمله المسؤول عن المكان كمسؤول الشركة أو المسؤول الحكومي أو وسيلة النقل^(١).

أما ضرره على المال فظاهر لا يخفى أن إنفاق المال في التدخين إضاعة له، فكيف إذا اجتمع معه إتلاف البدن؟

المطلب الثالث: النهي عن ترويع الإنسان وتضمين المروع:

قد يحدث القتل أو التلف أحياناً بالتخويف والترويع والإرهاب دون أن يرتكب الجاني فعلاً مادياً محسوساً، ومن أمثلة ذلك أن يصيح شخص على طفل أو كبير غافل وهو على سطح عال فيسقط من روعته فيموت، أو يشهر عليه سيفاً، أو يدلّيه من شامق فيموت خوفاً، أو يذهب عقله.

والإسلام في سعيه في حفظ النفس، ومنع الإضرار بها يسد كل المنافذ والذرائع التي قد تفضي إلى إيقاع الضرر على النفس، ولما كان الترويع من هذه الذرائع فإن الإسلام يحمل من يروع غيره ضمان ما ينتج عن ترويعه من ضرر، حتى لا يستغل الناس ذلك ذريعة للإضرار بالآخرين^(٢).

وقد وردت نصوص كثيرة في كتب الفقهاء تدل على تضمين المروع نتيجة ترويعه، ومن هذه النصوص:

١ - ما جاء في مجمع الضمانات: (صبي قائم على سطح فصاح به رجل، ففزع الصبي فوق ومات، ضمن عاقلة الصائح دينته)^(٣).

٢ - وجاء في المذهب: (وإذا كان صبي على طرف سطح فصاح رجل ففزع فوق من السطح ومات، ضمنه، لأن الصياح سبب لوقوعه، وإن كان صياحه عليه فهو عمد، وإن لم يكن صياحه عليه فهو خطأ)^(٤).

(١) العيسى عبد الله، التشريعات القانونية الخاصة بالتدخين وتنفيذها، ص ٣٢.

(٢) دوكوري عثمان، التدابير الواقية من القتل، ص ١٩٢.

(٣) البغدادي، مجمع الضمانات، ص ١٧٢.

(٤) الشيرازي، المذهب، ج ٢، ص ١٩٢.

٣ - وجاء في المغني: (ولو شهر سيفاً في وجه إنسان، أو دلاه من شاهق فمات من روعته، أو ذهب عقله، فعليه ديته، وإن صاح بصبي أو مجنون صيحة شديدة فخر من سطح أو نحوه فمات أو ذهب عقله، أو تغفل عاقلاً فصاح به فأصابه ذلك فعليه ديته تحملها العاقلة، فإن فعل ذلك عمداً فهو شبه عمد، وإلا فهو خطأ..)^(١).

وقد طغى في أيامنا هذا الحديث عن الإرهاب لما وقع من أحداث جسام، تم فيها خطف الطائرات وتفجير الحافلات وإتلاف آلاف الأرواح البريئة، وهذا داخل في باب النهي عن الترويع والتسبب في إزهاق النفوس.

فالإسلام أبعد العقائد والملل والشرائع عن التخويف الذي لا مسوغ له، فهو دين الرحمة الكاملة بالإنسانية كلها سواء فيها المسلمون وغيرهم، فهو بعقيدته السمحة السهلة الميسرة قد جاء لإشاعة الرحمة والأمن والسلام في هذه الدنيا، ولانتزاع أسباب الظلم والقهر والإرهاب بكل صورته وألوانه، وأصدق دليل على ذلك قول الحق -تبارك وتعالى- مخاطباً نبيه الكريم ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢).

والتربية الإسلامية طافحة بالنصوص التي تحذر أشد التحذير من ترويع الناس وإخافتهم، وإشاعة الذعر في النفوس بمختلف الأسباب والوسائل في الترويع أو الترهيب ومن هذه النصوص:

ما رواه ابن الزبير أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «لَمَنْ شَهِرَ سَيْفَهُ ثُمَّ وَضَعَهُ فِئْئِمَهُ هَدْرًا»^(٣) أي أن دمه باطل لا يقتص به من قاتله.

جاء في كنز الدقائق: (ومن أشهر على المسلمين سيفاً وجب قتله ولا شيء (على القاتل) لقوله -عليه الصلاة والسلام-: «لَمَنْ شَهِرَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ سَيْفًا فَقَدْ

(١) ابن قدامة، المغني، ج٧، ص٨٣٢.

(٢) سورة الأنبياء، الآية ١٠٧.

(٣) سنن النسائي، كتاب تحريم الدم، باب من شهر سيفه ثم وضعه في الناس، ج٧، ص١١٧، رقم ٤٠٩٧.

قال الشيخ الألباني شاذ، وفي رواية أخرى صحيح موقوف، (الألباني، صحيح سنن النسائي، ج٣، ص ٨٥٨).

أبطل دمه» ولأن دفع الضرر واجب، فوجب عليهم قتله إذا لم يكن دفعه إلا به ولا يجب على القاتل شيء لأنه صار باغياً بذلك^(١).

وجاء فيه أيضاً: (ومن شهر على رجل سلاحاً ليلاً أو نهاراً في المصر أو غيره، أو شهر عليه عصاً ليلاً أو نهاراً في غيره فقتله المشهور عليه، فلا شيء عليه)^(٢).

وفي حديث آخر يؤكد المصطفى -صلى الله عليه وسلم- أن الإشارة بالسلاح من موجبات الاستحقاق لعذاب الله الأليم في جهنم، فقد روى الإمام النسائي عن أبي بكرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «إذا أشار المسلم على أخيه المسلم بالسلاح فهما على جرف جهنم، فإذا قتله خرا جميعاً فيها»^(٣).

وفي حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- يبين رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الحكمة في المنع من الإشارة بالسلاح وهي مخافة أن يستغل الشيطان الفرصة فيوقع على يديه الأذى والضرر بأخيه فيستحق بذلك عذاب جهنم، يقول -صلى الله عليه وسلم-: «لا يشر أحدكم على أخيه بالسلاح، فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزغ في يده فيقع في حفرة من النار»^(٤).

ومما يؤكد شدة تحريم الإشارة بالسلاح على المسلم ويكشف عن سوء عاقبته أنها موجبة للعن الملائكة، فقد روى الإمام مسلم عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «من أشار بيده إلى أخيه بحديدة فإن

(١) ابن نجيم، البحر الرائق، ج ٨، ص ٣٤٤.

(٢) المرجع السابق، ج ٨، ص ٣٤٤.

(٣) سنن النسائي، كتاب تحريم الدم، باب تحريم القتل، ج ٧، ص ١٢٤، رقم ٤١١٦، وصححه الألباني، (الألباني، صحيح سنن النسائي، ج ٣، ص ٨٦١).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي من حمل علينا السلاح فليس منا، ج ٦، ص ٢٥٩٢، رقم ٦٦٦١.

الملائكة تلغنه حتى يدعه وإن كان أخاه لأبيه وأمه^(١).

قال الإمام النووي في شرح هذا الحديث: (فيه تأكيد حرمة المسلم والنهي الشديد عن ترويعه وتخويفه والتعرض له. بما قد يؤذيه، وقوله صلى الله عليه وسلم:- «وإن كان أخاه لأبيه وأمه^(٢) مبالغة في إيضاح عموم النهي في كل أحد سواء من يتهم فيه، ومن لا يتهم وسواء كان هذا هزلاً ولعباً أم لا، لأن ترويع المسلم حرام بكل حال، ولأنه قد يسبقه السلاح كما صرح به في الرواية الأخرى، ولعن الملائكة يدل على أنه حرام^(٣)).

وقال الحافظ ابن حجر معلقاً على الحديث:

(وإنما يستحق اللعن، إذا كانت إشارته تهديداً، سواء كان جاداً أم لاعباً كما تقدم، وإنما أُوخذ اللاعب لما أدخله على أخيه من الروع^(٣)).

ولئن كان هذا النهي أو التحذير بهذه الشدة المغلظة في حق التخويف للأفراد، أي في حق الذين يروعون الناس أفراداً، فلا جرم أن يكون النهي والتحذير أشد كثيراً في حق من يعتدي على المجتمع بترويعه وتخويفه وإثارة الرعب والفتنة والفوضى في صفوفه.

المطلب الرابع: تشريع القصاص والعقوبات:

لم تكلف الشريعة الإسلامية بتلك الإجراءات الوقائية التي شرعتها لحفظ النفس الإنسانية، ولم تغفل ما جبل عليه بعض الناس من حرص على تجاوز حدود الشرع وانتهاك ما حرم، فشرعت إجراءات من شأنها القضاء على أمثال هؤلاء المجرمين القتل وتردع من تسول له نفسه السير في ركبهم، فشرعت القصاص.

وقد يبدو لأول وهلة أن القصاص إنما هو إجراء زجري لا دخل له في مقصد الشارع بحفظ النفس كما يقول ابن عاشور: (ومعنى حفظ النفوس حفظ الأرواح من التلف أفراداً وعموماً، لأن العالم مركب من أفراد الإنسان وفي كل نفس

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب النهي عن الإشارة بالسلاح، ج ٤، ص ٢٠٢، رقم ٢٦١٧.

(٢) النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، ج ١٦، ص ١٦٩.

(٣) ابن حجر، فتح الباري، ج ١٣، ص ٢٥.

خصائصها التي بها قوام العالم. وليس المراد حفظها بالقصاص كما مثل بها الفقهاء بل نجد القصاص هو أضعف أنواع حفظ النفوس لأنه تدارك بعض الفوات. بل الحفظ أهمه حفظها من التلف قبل وقوعه مثل مقاومة الأمراض السارية..^(١)

والحقيقة أن في القصاص حياة وحفظاً عظيماً للنفوس، لأنه إذا علم مريد القتل أنه سيقتل إذا قتل دفعه ذلك إلى الامتناع عن القتل خوفاً من العقوبة، وبهذا يحفظ حياته وحياة من كان يريد قتله. ولقد أدرك علماؤنا قديماً وحديثاً الجانب الوقائي في القصاص، فهذا قتادة يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٢). (جعل الله هذا القصاص حياة، ونكالاً وعظة لأهل السفه والجهل من الناس وكم من رجل قد هم بداهية لولا مخافة القصاص لوقع بها، ولكن الله حجز بالقصاص بعضهم عن بعض)^(٣).

ويقول سيد قطب: (والحياة التي في القصاص تثبت من كف الجناة عن الاعتداء ساعة الابتداء، فالذي يوقن أنه يدفع حياته ثمناً لحياة من يقتل جدير به أن يتروى ويفكر ويتردد، كما تثبت من شفاء صدور أولياء الدم عند وقوع القتل بالفعل، شفاؤها من الحق والرغبة في الثأر..^(٤)

وتتضاعف الفعالية الوقائية للقصاص إذا كانت الأمة على صلة وثيقة بربها، تخشى غضبه، وتأمل مرضاته، وهذه هي التقوى التي أشارت إليها الآية، و(هذا هو الرباط الذي يعقل النفوس عن الاعتداء، الاعتداء بالقتل ابتداءً، والاعتداء في الثأر أخيراً.. إنه بغير هذا الرباط لا تقوم شريعة ولا يفلح قانون ولا يتخرج متحرج، ولا تكفي التنظيمات الخاوية من الروح والحساسية والخوف والطمع في قوة أكبر من قوة الإنسان)^(٥).

(١) ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، ص ٨٠.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٧٩.

(٣) الطبري، تفسير الطبري، ج ٢، ص ٣٨٢.

(٤) قطب سيد، في ظلال القرآن، ج ١، ص ١٦٥.

(٥) المرجع السابق، ص ١٦٦.

وإلى جانب عقوبة القصاص في القتل العمد هناك عقوبات دنيوية أخرى منها حرمان القاتل من ميراث القتيل ومن وصيته إن كان مستحقاً لأحدهما.

كما لا يكتفي الإسلام بهذه العقوبات الدنيوية جميعها، بل يتوعد القاتل بغضب الله ولعنته والعذاب العظيم المقيم، حيث يقول تعالى: «وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا»^(١)، ولم يتوعد القرآن الكريم أية جريمة أخرى بمثل ما توعد به جريمة القتل في هذه الآية، فقد جعل عذابها في الآخرة مساوياً لعذاب الشرك بالله.

وأبلغ من هذا كله في الدلالة على حرص التربية الإسلامية على احترام الحياة وحماية النفس، وعلى زجر الناس وتخويفهم من عواقب الاستهانة والإهمال في هذه الشؤون، وحملهم على اتخاذ منتهى الحيطة والحذر في صددتهما، هو ما يقرره من مسؤولية وجزاء في حالة القتل الخطأ وما في حكمه.

فمع أن الشريعة الإسلامية تقرر أن الفرد لا يعاقب إلا على ما يحدثه عن قصد وإرادة كما جاء في قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إِنْ اللَّهُ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنَّسِيَانَ وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ»^(٢)، إلا أنها تخرج عن هذه القاعدة في القتل على الأخص، فتعاقب على نوعين من القتل غير المقصود، أحدهما القتل الخطأ، والآخر ما يسميه الفقهاء بالقتل الشبيه بالعمد^(٣).

المطلب الخامس: بعض التشريعات الواقية للنفس من القتل:

أولاً: الأمر باتخاذ الحيطة عند تناول السلاح في الأماكن العامة:

الإسلام يبالغ في اتخاذ الحيطة والحذر فيمنع مجرد حمل السلاح مكشوفاً في الأماكن العامة حتى لا يؤذي أحداً من الأمنيين، أو يروعهم، ففي الحديث عن جابر بن

(١) سورة النساء، الآية ٩٣.

(٢) سنن ابن ماجه، كتاب الطلاق، باب طلاق المكره والناسي، ج ١، ص ٦٥٩، رقم ٢٠٤٣، وصححه

الألباني، (الألباني، صحيح سنن ابن ماجه، ج ١، ص ٣٤٧).

(٣) وفي علي عبد الواحد، حماية الإسلام للأنفس والأعراض، ص ١٠.

عبد الله - رضي الله عنه - قال: «مر رجل بسهام في المسجد فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمسك بنصالها، قال: نعم»^(١).

وفي حديث آخر عنه - صلى الله عليه وسلم - قال: «إذا مر أحدكم في مسجدنا - أو في سوقنا - ومعه نبل فليمسك على نصالها - أو قال - (فليقبض) بكفه أن يصيب أحداً من المسلمين منها بشيء»^(٢).

يقول الحافظ ابن حجر في تعليقه على هذين الحديثين: (وفي هذين الحديثين تحريم قتال المسلم وقتله وتغليظ الأمر فيه، وتحريم تعاطي الأسباب المفضية التي أذيته بكل وجه)^(٣).

وروى الإمام الترمذي من حديث جابر - رضي الله عنه - أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - «نهى أن يتعاطى السيف مسلولا»^(٤).

يقول الشيخ المباركفوري: (فيكره مناولته كذلك لأنه قد يخطئ في تناوله فيجرح شيئاً من بدنه أو يسقط على أحد فيؤذيه)^(٥).

ولمزيد من احتياطات الأمن والسلامة نهى الإسلام عن رمي الحصى حتى لا يؤذي أحداً، ومما ورد في ذلك ما رواه الشيخان عن عبد الله بن مغفل «أنه رأى رجلاً يخذف فقال له: لا تخذف فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم - نهى عن

(١) صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي من حمل علينا السلاح فليس منا، ج ٦، ص ٢٥٩٢، رقم ٦٦٦٢ صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب أمر من مر بسلاح في مسجد أو سوق، ج ٤، ص ٢٠١٨، رقم ٢٦١٤.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي من حمل علينا السلاح فليس منا، ج ٦، ص ٢٥٩٢، رقم ٦٦٦٤ صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب أمر من مر بسلاح في مسجد أو سوق، ج ٤، ص ٢١١٩، رقم ٢٦١٥.

(٣) ابن حجر، فتح الباري، ج ١٣، ص ٢٥.

(٤) سنن الترمذي، كتاب الفتن ٢٥٢، باب ما جاء في النهي عن متعاطي السيف، ج ٤، ص ٤٦٤، رقم ٢١٦٣، وصححه الشيخ الألباني. (الألباني، صحيح سنن الترمذي، ج ٢، ص ٢٣١).

(٥) المباركفوري، تحفة الأحوذ، ج ٦، ص ٣١٨.

الخذف^(١) أو كان يكره الخذف - وقال: (إنه لا يصاد به صيد، ولا ينكأ به عدو، ولكنها قد تكسر السن وتفقأ العين) ... ثم رآه بعد ذلك يخذف فقال له: أحدثك عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه نهى عن الخذف - أو كرهه الخذف - وأنت تخذف؟ لا أكلمك كذا وكذا^(٢).

قال بعض العلماء: إن هذا النهي خاص بالمكان الذي يوجد فيه أناس، وفي هذا الصدد يقول الحافظ ابن حجر: (وقد تقدم قبل بابين من هذا الباب قول الحسن في كراهية رمي البندقية في القرى والأمصار، ومفهومه أنه لا يكره في الفلاة، فجعل مدار النهي على خشية إدخال الضرر على أحد من الناس)^(٣).

ولهذا السبب كان الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم - يمنعون الرمي بالبنادق في المدن، بل إن بعضهم كان يرى ذلك من أشد المنكرات فيعين من يمنع ذلك، وقد ذكر الحافظ ابن كثير أن بعض أهل المدينة رموا بالجلاهاقات، فوكل عثمان رضي الله عنه - رجلاً من بني ليث يتبعهم، ويكسر الجلاهاقات^(٤).

وما تقرره هذه الآثار في التربية الإسلامية ينسحب على ما يشابهه من أمور فيها خطر على حياة الإنسان في عصرنا الحاضر، فالكهرباء والمواد القابلة للاشتعال والمواد الكيماوية والبيولوجية يجب التعامل معها بنفس الحذر والوقاية لأخطارها المميتة، وعلى الدولة الإسلامية مراقبة هذه المؤسسات ووسائل الأمان والسلامة فيها.

(١) الخذف هو: رمي الإنسان بحصاة أو نواة ونحوها بين أصبعين، السبابتين أو الإبهام والسبابة (مجمه اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص ٢٤٥).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الذبائح والصيد، باب الخذف والبندقية، ج ٥، ص ٢٠٨٨، رقم ١٥١٦٢ صحيح مسلم، كتاب الصيد والذبائح، باب إباحة ما يستعان به على الصيد، ج ٣، ص ١٥٤٧، رقم ١٩٥٤.

(٣) ابن حجر، فتح الباري ج ٩، ص ٦٠٨.

(٤) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية ٢١٤/٧. والجلاهاقات: جمع جلاهاق وهو البندق أو الطين المدور المدفلق يرمى به الصيد (الرازي، مختار الصحاح، ص ٨٨).

ثانياً: تناول المحرمات عند الاضطرار:

لقد أباح الله سبحانه وتعالى لعباده الطيبات التي فيها حفظ صحتهم ولا ضرر عليهم من تناولها، حيث يقول: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ»^(١) وحرّم عليهم أنواعاً قليلة من الطعام والشراب هي الخبائث التي تضر بصحتهم وعافيتهم «وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ»^(٢).

ولكن الشريعة الإسلامية التي تهدف إلى وقاية الإنسان وحمايته من المهلك، تخرج عن هذا النظام وقت الضرورة، حين تكون حياة الإنسان مهددة، فمن رحمة الشارع الحكيم وسعة فضله، أنه حتى بالنسبة لهذه الأمور المحرمة أباح تناولها للمضطر إليها وقد تضافرت نصوص القرآن الكريم على بيان المحرمات من المطعومات في آيات عديدة وفي جميعها تتبع ذلك باستثناء ما يباح منها في حالات الاضطرار، ومن هذه النصوص:

١ - قوله تعالى: «إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ»^(٣).

٢ - قوله سبحانه: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكَ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَكْفُرُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ»^(٤).

(١) سورة البقرة، الآية ١٧٢.

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٥٧.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٧٣.

(٤) سورة المائدة، الآية ٣.

٣ - قوله عز وجل: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١).

٤ - قوله جل شأنه: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلِيَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٢).

٥ - قوله جل وعلا: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرَرْتُمْ إِلَيْهِ﴾^(٣).

ثالثاً: وجوب نجدة النفس المضطرة:

تمتاز الشريعة الإسلامية بأنها قائمة على القيم الأخلاقية، فهي تعاقب على كل ما يخالف الأخلاق عقاباً دنيوياً أو أخروياً أو هما معاً، وهذه الميزة هي التي تجعل المسلم يحس دائماً بأنه في رقابة الله عز وجل، وأنه سبحانه وتعالى سيحاسبه على ما يفعل، وسيعاقبه على فعل الشر، وعلى الامتناع عن فعل الخير والبر متى كان قادراً على ذلك^(٤).

ولهذا أجمع أهل العلم على وجوب إنقاذ الإنسان لأخيه الإنسان وإغاثته وأنه محاسب على تقصيره في ذلك، وفي هذا يقول الإمام القرطبي: (ولا خلاف بين أهل العلم متأخريهم ومتقدميهم في وجوب رد مهجة المسلم عند خوف الذهاب والتلف بالشيء اليسير الذي لا مضرة فيه على صاحبه وفيه البلغة)^(٥).

وكثيرة هي تلك النصوص في القرآن والسنة التي تحث على التعاون والإحسان وتنفيس الكرب وبذل المال، فما بالنا إذا كان الأمر يتعلق بإغاثة مضطر

(١) سورة الأنعام، الآية ١٤٥.

(٢) سورة النحل، الآية ١١٥.

(٣) سورة الأنعام، الآية ١١٩.

(٤) أبو زهرة محمد، الجريمة، ص ١٢.

(٥) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٢ ص ٢٢٦.

من هلاك محقق وتنجية إنسان من خطر يحيق به.

يقول تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾^(١).

ويقول -صلى الله عليه وسلم-: «لما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به»^(٢). فإذا كان الحديث ينفي الإيمان عن من لم يتفقد جاره المحتاج مع علمه بحاله وقدرته على مواساته، فلا شك أن دلالة على وجوب مواساة وإغاثة المضطر أكد، ذلك لأن الضرورة أقوى من الحاجة.

يقول الأستاذ وهبة الزحيلي: (لم أجد خلافاً بين الفقهاء في أنه يجب على مالك الطعام أو المال إذا لم يكن محتاجاً إليه في الحال أن يبذله إلى المحتاج إليه بقيمته ليدفع عنه أذى الجوع أو الضرر الذي قد يلحق به)^(٣).

وقد فصل العلماء القول في المضطر بما خلاصته:

إذا احتاج المضطر إلى طعام أو ماء ووجد منهما عند غيره يطلبه منه، فإن لم يعطه إلا بالشراء عرض عليه ثمن المثل، لأن الزيادة اضطر إليها فلا يلتزم بها، أما إن رفض صاحب الطعام أو الماء أن يعطي المضطر ما ينقذ به حياته من الهلاك ففي هذه الحالة جاز للمضطر أن يستخدم القوة اللازمة لأخذ ما يسد رمقه من صاحبه، فإن تمالى في الرفض جاز للمضطر أن يقاتله حتى يأخذ منه ذلك، على أن يراعي، في هذه الحالة التدرج مع الممتنع، فيبدأ معه بالأخف فالأخف حتى يصل إلى درجة القتل إن لم تنفع معه الوسائل الأخرى، ولا شيء على المضطر في هذا القتل، لأن الممتنع بامتناعه عن إغاثة نفس معصومة مشرفة على الهلاك يعد معتدياً وباغياً، والاعتداء يجوز رده بمثله لقوله تعالى: ﴿وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾^(٤)، ولما روي عن سيدنا عمر رضي

(١) سورة المائدة، الآية ٣٢.

(٢) الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ج ٢، ص ١٥، رقم ٢١٦٦، وحسنه الهيثمي (الهيثمى، مجمع الزوائد، ج ٨، ص ١٦٧).

(٣) الزحيلي وهبة، نظرية الضرورة الشرعية، ص ٢٩١.

(٤) سورة البقرة، جزء من آية رقم ١٩٤.

الله عنه- أن قوماً وردوا ماء فسألوا أهله أن يدلّوهم على البئر، فأبوا، فسألوهم أن يعطوهم دلواً فأبوا، فذكروا ذلك لسيدنا عمر بن الخطاب فقال: (هلا وضعتم فيهم السلاح)^(١).

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، فبعد أن أجمعوا على أن إغاثة المضطر واجبة، يقررون أن الامتناع عن ذلك إثم ومعصية لله تعالى، بل يرى الإباضية والمالكية والظاهرية مساءلة الممتنع جنائياً وقضائياً.

يقول الإمام الثميني^(٢): (من سمع قوماً يتوعدون بقتل أحد، يلزمه إنذاره وإعلامه، فإن توانى حتى قتلوه لزمته ديته في ماله وحده، وكذلك لو لم يرشد الطريق مسترشده، أو لم يسق مستسقيه لزمه إن هلك بذلك الدية وحده)^(٣).

يقول الإمام الدردير: (وترك فضل -أي زائد- طعام أو شراب عما يمسك الصحة في الأكل لمضطر، يضمن دية الخطأ إن تأول في المنع، وإلا اقتص منه)^(٤).

ويقول ابن حزم بعد أن أورد قصة استسقاء الرجل الذي منع الماء فضمن عمر رضي الله عنه- المانعين ديته، قال معلقاً على هذه القصة: (القول في هذا عندنا -وبالله التوفيق- هو أن الذين لم يسقوه إن كانوا يعلمون أنه لا ماء له البتة إلا عندهم، ولا يمكنه إدراكه أصلاً حتى يموت، فهم قتلوه عمداً، وعليهم القود بأن يمنعوا الماء حتى يموتوا كثراً أو قلوأ، فإن كانوا لا يعلمون ذلك ويقدرّون أنه سيدرك الماء فهم قتلوه خطأ، وعليهم الكفارة، وعلى عاقلهم الدية... وهكذا القول في الجائع والعاري ولا فرق وكل ذلك عدوان)^(٥).

(١) الكاساني، بدائع الصنائع، ج ٦، ص ١٨٩.

الشربيني، مغني المحتاج، ج ٤، ص ٣٠٨.

(٢) هو الإمام عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد العزيز بن عبد الله الثميني، من قبيلة مضمودة البربرية، عاش في الفترة (١١٣٠هـ-١٢٢٣هـ)، إباضي المذهب، ولد في بني يسجن بوادي ميزاب (من أعمال الجزائر حالياً) من أهم مؤلفاته كتاب النيل وشفاء العليل (مقدمة شرح النيل ج ١، ص ٦).

(٣) لطفيش محمد يوسف، شرح النيل وشفاء العليل، ج ٥، ص ٩٨.

(٤) الدردير، الشرح الكبير، ج ٢، ص ٢٢٥.

(٥) ابن حزم، المحلى ج ١٢/ص ٣١٩.

وإذا عرفنا الحالة التي تطرأ على الحيوان أو الطير بعد الموت تمكنا من تقدير الخطورة التي تلحق بمن يأكلها، (فالميتة تتعرض لتغيرات عديدة فبعد ساعة من الموت يرسب دم الحيوان إلى الأجزاء المنخفضة من جسمه مشكلاً ما يسمى بالزرقة الجيفية (الرمية) وبعد (٣-٤) ساعات يحدث التيبس الجيفي وهو عبارة عن تصلب عضلات الجسم وتوترها بسبب تكون أحماض خاصة، كحمض الفوسفور، وحمض اللبن وحمض الفوميك، وبعدها تعود القلوية للعضلات فيزول التيبس وتغزو الجراثيم الجثة، فتتكاثر أول الأمر الجراثيم الهوائية، ثم اللاهوائية فتؤدي لتعفن الجثة، ومن جراثيم التعفن العصيات الكولونية والمتقلبات الاعتيادية والمكورات العنقودية، وتؤدي هذه الجراثيم لتفسخ الجثة، وينتج عنها مركبات ذات رائحة كريهة وأثر سام، وانحباس الدم يسرع التعفن ويزيد من التكاثر الجرثومي فيها^(١).

لهذه الأسباب ولأسباب أخرى يعلمها الله وربما يكتشفها العلم مستقبلاً حرم الله تناول اللحوم الميتة على اختلاف أنواعها ومصادرها، عدا ما استثناه الشارع الحكيم الوارد في قوله صلى الله عليه وسلم: «أحلت لكم ميتتان ودمان: الحوت والجراد، والكبد والطحال»^(٢)، حيث أن هذه تختلف خصائص الدم فيها، فهي لا تسبب ضرراً بل فيها منافع عديدة للجسم كما أثبت ذلك الأطباء^(٣).

٢ - الدم:

لا يعتبر الدم غذاء بشرياً صالحاً، نظراً لتركيبته المختلفة واحتوائه على بروتينات معقدة عسرة الهضم جداً، ولا تحتملها المعدة كما يحمل سموماً وفضلات كثيرة ومركبات ضارة، وذلك لأن إحدى وظائفه الهامة هي نقل نواتج استقلاب الغذاء في الخلايا من فضلات وسموم ليصار إلى طرحها وأهم هذه المواد المبلولة وحمض البول والكرياتين وغاز الفحم، كما يحمل الدم بعض السموم التي ينقلها من الأمعاء إلى الكبد ليصار إلى تعديلها.

(١) عادل أحمد بربر، الطب الوقائي في الإسلام، ص ٩٢-٩٣.

(٢) مسند الربيع، كتاب الأحكام، باب الذبائح، ج ١، ص ٢٤٣، رقم ٦١٨.

(٣) أنظر: دياب عبد الحميد وأحمد فرقوز، مع الطب في القرآن، ص ١٣٦.

وعند تناول كمية كبيرة من الدم فإن هذه المركبات تمتص ويرتفع مقدارها في الجسم، إضافة إلى المركبات التي تنتج عن هضم الدم نفسه مما يؤدي إلى ارتفاع نسبة البولة في الدم والتي يمكن أن تؤدي إلى اعتلال دماغي ينتهي بسبات، وهذه الحالة تشبه مرضياً ما يحدث في حالة النزف الهضمي العلوي ويلجأ عادة هنا إلى امتصاص الدم المتراكم في المعدة والأمعاء لتخليص البدن منه ووقايته من حدوث الإصابة الدماغية. وهكذا فإن الدم كما رأينا يحتوي على فضلات سامة مستقرة، ولو أخذ من حيوان سليم، علاوة على احتوائه على عوامل مرضية وجراثومية فيما لو أخذ من حيوان مريض بالأصل^(١).

كما أن الدم وسط صالح لنمو شتى الجراثيم، وتستفيد معامل علم الجراثيم من هذه الناحية في صنع مزارع دموية للحصول على مستعمرات جرثومية للدراسة^(٢).

ومما سبق ذكره نلاحظ أن تناول الدم يعني إما تناول مواد سامة على مستوى الأجهزة النخيلة كالدماغ والقلب والكلىة أو تناول مزارع جرثومية خطيرة على الإنسان إذا ما كان الدم ملوثاً.

أو يكلف عضويته بتناول ما لا يفيد أصلاً فيرهقها ويبث في كيانه العجز، فحري بهذا الإنسان العاقل أن يبتعد عن مصدر الضرر ويجتنبه ولكن الإنسان ينسى فجاء الإسلام يذكره في كل مرة يحاول فيها أن يؤذي نفسه بجهله واستكباره.

٣ - لحم الخنزير:

حرم الإسلام لحم الخنزير تحريماً قاطعاً، ولعل الحكمة في تحريمه ما كشفه العلم الحديث من أمراض خبيثة تنتج عن تربيته ومخالطته فضلاً عن أكله.

وقد توصلت الأبحاث الطبية الحديثة إلى نتائج مدهشة حول أضراره، إذ أكدت أن الخنزير يصاب بأكثر من ٤٥٠ مرضاً أكثرها وبائياً، وأنه يقوم بدور

(١) انظر: النسيجي، الطب النبوي والعلم الحديث، ج ٢، ص (٣٦٢-٢٦٣)؛ الدقر، روائع الطب الإسلامي، ج ٣، ص (٣٦-٣٨).

(٢) بربر عادل أحمد وآخرون، الطب الوقائي في الإسلام، ص ٩٥.

الوسيط لنقل أكثر من ٥٧ مرضاً بعضها مهلك للإنسان، هذا عدا عن نوعية لحمه وشحمه التي تسبب تليف الكبد وتصلب الشرايين وضعف الذاكرة والعقم^(١).

لذلك حين يذكر المربي تحريم الإسلام للحم الخنزير ينبغي أن يشير إلى هذه الأمراض التي أراد الله سبحانه وتعالى أن يقينا منها، ونوجزها في النقاط التالية:

أ - الأمراض غير المعدية التي سببها الخنزير^(٢):

جلطات القلب - أمراض الشرايين التاجية - التهاب الأوردة المتخثر - التهابات الزائدة الدودية - التهاب المرارة وحصواتها - تليف الكبد - السرطان - التهاب المفاصل - أمراض الحساسية - قرحة الساق المزمنة.

ب - الأمراض المعدية الفيروسية التي يسهم الخنزير في نقلها إلى الإنسان^(٣):

- ١ - التهاب الدماغ الياباني (*Japanese Encephalitis*).
- ٢ - فيروس غرب النيل (*West Nile Encephalitis virus*).
- ٣ - التهاب الفم البشري (*Vesicular stomatis*).
- ٤ - مرض الحمى القلاعية (*Foot and mouth disease*).
- ٥ - مرض الخنزير البشري (*Swine vesicular disease*).
- ٦ - مرض التهاب الدماغ وعضلة القلب (*Encephalomyocarditis*) (E.M.C).
- ٧ - مرض الانفلونزا (*Influenza*).
- ٨ - مرض النزلات المعوية عند المواليد (*Neonatal diarroe*).
- ٩ - حمى نهر الروس (*Ross river virus*).
- ١٠ - الإيدز.

(١) جواد أحمد، الخنزير بين منظار العلم وميزان الشرع، ص ٣٠.

(٢) أنظر: البار محمد علي، الأسرار الطبية والأحكام الفقهية في تحريم الخنزير، ص (٧٩-٩٢).

(٣) أنظر: الدقر، روائع الطب الإسلامي، ج ٣، ص ٤٧.

١ البار، الأسرار الطبية والأحكام الفقهية في تحريم الخنزير، ص (١٤٦-١٦٠).

- ج- الأمراض البكتيرية التي ينقلها الخنزير إلى الإنسان^(١):
- ١ - الإجهاض المعدي (الحمى المالطية) *brucellosis*.
 - ٢ - السالمونيلا وتسمم الطعام *Salmonenellosis*.
 - ٣ - الليبتوسبيروسيس (داء البريميات) *Lepto spirois*.
 - ٤ - الليستريوزيس *Listeriosis*.
 - ٥ - الكلستريديا بأنواعها المختلفة (المطيفة) *Clostridium*.
 - ٦ - الحمرانية (مرض شبيه الحمرة) *Enysipeloid*.
 - ٧ - الجمرة الخبيثة (الحمى الفحمية) *Anthrax*.
 - ٨ - الدرن (السل) *Tuberculosis*.
 - ٩ - الميكروبات السبحية (التهاب السحايا) *Streptococcal disease*.
 - ١٠ - دوسنتاريا الخنزير *Swine*.
 - ١١ - مرض الرغوم *Melioidosis*.
 - ١٢ - يرسينيا الأمعاء أو السل الكاذب *Yersinosis*.
 - ١٣ - البكتريا المغزلية *Fusiform bacteria*.
 - ١٤ - الباستوريلا *Pasteurella*.
 - ١٥ - المفطورة الرئوية (مايكوبلازما).

(١) أنظر: تقرير منظمة الصحة العالمية، المصادر عام ١٩٨٢م برقم ٦٨٢، نقلًا عن: (البار، الأسرار الطبية في تحريم الخنزير ص (١٦٣-١٦٤)).
؛ المرسي أحمد، الإعجاز الطبي في الإسلام، ص (١٤٥-١٤٧).

د - أمراض طفيلية (ديدان)^(١)

ويحتوي الخنزير على أكثر من خمسين نوعاً من الطفيليات الخطيرة الضارة بالإنسان أهمها:

١ - الدودة الشريطية الخنزيرية (*Taenia solium*)

٢ - الدودة اللولبية الشعرية الحلزونية (*Trichinella spiralis*)

٣ - دودة الأكياس المائية (*Hydatid worm*)

٤ - الديدان المستديرة (*Round worms*)

٥ - الديدان الخطافية (*Hook worms*)

٦ - طفيليات الأمعاء الدقيقة (*Fascioelopsis ruski*)

٧ - دودة البلهارسيا الآسيوية (*Schistosma japonicum*)

وبعد كل هذه الآفات المهلكة هل يشك عاقل أن خير وقاية منها هو اتباع أمر الله عز وجل في تحريم تناولها، علماً بأن هذه الأمراض التي يسببها إنما هي مبلغ علم البشر في الوقت الحاضر وقد تكتشف مع الأيام حكم أخرى للتحريم.

ولعل من باب الاستئناس لا غير نذكر شهادة وملاحظة عالم غير مسلم حول أهمية تحريم لحم الخنزير، وهو الطبيب الألماني هانس ريكفينغ حيث يقول: (لا بد أن أشير إلى التراث القديم عند بعض الأمم، حيث كان للتعاليم التي أرساها النبيان محمد وموسى أكبر الأثر في التزام المسلمين واليهود بقوانين الله الطبيعية، ففي أفريقيا حيث يعيش المسلمون وغيرهم في ظروف مناخية واحدة، نجد بالمقارنة، أن الشعوب الإسلامية تتمتع بصحة جيدة لأن لحم الخنزير محرم في شريعتها، بينما نجد أن الشعوب الأخرى التي تعتمد النظام الغربي في تغذيتها تصاب بأمراض ترتبط كل الارتباط بتناولها لحم الخنزير.. ففي دراسة جرت في الهيمالايا حيث تعيش قبائل

(١) انظر: المرسى، الإعجاز الطبي في الإسلام، ص (١٤٠-١٤٤).

الهنوزا التي اعتنق معظم أفرادها الإسلام ويمتنعون عن أكل لحم الخنزير، وجد أنهم يتمتعون بصحة جيدة ومتوسط أعمارهم مرتفع ويعملون حتى سن متقدمة لتحصيل أرزاقهم في حين أن القبائل التي تجاورهم من غير المسلمين تصاب بعدد من الأمراض الشائعة بينهم لتناولهم لحم الخنزير، ومتوسط أعمارهم وفعاليتهم أقل بكثير من القبائل المسلمة، وهكذا فإني أرى أن الكتب السماوية التي جاء بها محمد وموسى كان معها الحق، كل الحق، في تحريم تناول لحم الخنزير^(١).

هكذا يتضح لنا من خلال هذه الأمثلة التي ذكرها الله عز وجل مدى اهتمام الدين الإسلامي بسلامة أجسامنا، والنأي بها عن كل ما يكدر صفوها ومن البديهي أن حكم التحريم ينسحب على كل ما يضر بالصحة من الأطعمة والأشربة.

ومما يجدر ذكره هنا أنه ربما تكون بعض الأطعمة والمشروبات التي لا يوجد شك في حليتها عامة، لكنها في حق بعض الأشخاص تسبب لهم أضراراً صحية لخلل ما في أجسامهم، فإنه لا يصح لهم تناولها مع تيقن الضرر سواء نصحهم الأطباء بعدم تناولها أو عرفوا ذلك بالتجربة، لأن علة التحريم في الحالتين واحدة، أقول ذلك من واقع مشاهدتي للكثير من المسلمين ممن ابتلاهم الله ببعض الأدواء التي يتطلب معها الامتناع عن بعض المأكولات كداء السكري والضغط وقرحة المعدة ومع ذلك نراهم لا يمتنعون عنها، تغليباً منهم لجانب شهوة الأكل فوقعوا في مضاعفات خطيرة وأدى بالبعض منهم إلى الوفاة.

(١) هانس هايتزش ريكفنغ، الدين والعلم وتحريم لحم الخنزير، نقلًا عن: الدقر، روائع الطب الإسلامي، ج٣، ص٤٣.

المبحث الثاني: التربية الوقائية الصحية لحفظ العقل:

لقد كرم الله الإنسان تكريماً لا مثيل له وذلك بمنحه العقل الذي يدرك به الأشياء، ويميز به الأمور، ويزن به الأعمال، ويفرق بين الحسن والقبيح، فيرشده إلى الخير، ويبعده عن الشر، ويكون مع صاحبه مرشداً ومعيناً، ليفكر فيما حوله، ويكون له إرادة مستقلة، ليختار الطريق، ويتعرف كنه الأشياء، ويتعرف على حقائق الأمور، ويطلع على تركيب الموجودات وخصائصها، ويكشف أسرار الكون، ويعرف وظيفته نحو نفسه، ونحو مجتمعه، ونحو ربه، كما يميز الإنسان بالعقل بين الطيب والخبيث، والنافع والضار.

فالعقل بذلك منحة إلهية عظيمة، وهو أسمى شيء في الإنسان، وأبرز ميزة وصفة تميزه وتفضله على غيره^(١).

قال الحارث المحاسبي: (كل شيء جوهر، وجوهر الإنسان عقله، وجوهر العقل التوفيق) وقال أيضاً: (واعلم أنه ما تزين أحد بزينة كالعقل، ولا لبس ثوباً أجمل من العلم، لأنه ما عرف الله إلا بالعقل، ولا أطيع إلا بالعلم)^(٢).

فالعقل هو الأداة الكبرى للمعرفة، ويتفرع عنه التفكير، والإرادة والاختيار، وكسب العلوم، لذلك كان الإنسان مسؤولاً عما يصدر عنه، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾^(٣).

وعد القرآن الكريم الإنسان الذي يعطل حواسه وعقله أضل من الأنعام والحيوان، لأنه لديه وسائل المعرفة لكنه عطّلها عما خلقت له، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يُعْقِلُونَ﴾^(٤).

(١) الزحيلي محمد، التكريم الإلهي للإنسان، ص ٥٥.

(٢) المحاسبي، رسالة المسترشدين، ص ٩٧.

(٣) سورة الإسراء، الآية (٢٦).

(٤) سورة الأنفال، الآية (٢٢).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾^(١).

واعتبر الإسلام العقل من ضروريات الحياة للإنسان، وأن المحافظة عليه من المصالح الضرورية في الدين، فشرع أحكاماً للحفاظ عليه، ودعا إلى الصحة الكاملة للجسم لتأمين العقل السليم، لأن العقل السليم في الجسم السليم^(٢).

وبهذا يعد حفظ العقل المقصد الثالث من مقاصد الشريعة الإسلامية، فكل ما من شأنه الإضرار بالعقل، أو تكييله عن أداء وظيفته بالشكل الصحيح حرمه الإسلام، وقاية لهذا العضو الذي ميز الله به الإنسان عن غيره من الحيوان.

ولأن الإسلام يربي أتباعه على مبدأ الوقاية، فسنقوم باستعراض مشكلتي الخمر والمخدرات، وكيف استطاع الإسلام صيانة المجتمع المسلم من كثير من الويلات والمخاطر جرّاء التحريم القاطع لهاتين الآفتين وأشباهها.

المطلب الأول: تحريم الخمر

لقد كان للإسلام السبق في تحريم الخمر بكل صوره وأنواعه ومسمياته، فكل مشروب أو مأكول تضمن شيئاً من إسكار فإنه حرام من غير خلاف، وفي هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «كُلُّ مسكر خمر، وكل خمر حرام»^(٣).

وقد استطاع الإسلام بتربيته الفذة أن يحل مشكلة الخمر عند العرب الأوائل الذين ولعوا بها، بأسلوب رائع جداً هو أسلوب التدرج، هذا الأسلوب الذي أصبح اليوم طريقة من طرق العلاج النفسي في معالجة الإدمان تتبعه أحداث المؤسسات الاختصاصية التي تعالج المدمنين.

(١) سورة الأعراف، الآية (١٧٩).

(٢) الزحيلي، التكريم الإلهي للإنسان، ص ٥٧.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب بيان إن كل مسكر خمر، ج ٣، ص ١٥٨٧، رقم ٢٠٠٣.

سنن ابن ماجه، كتاب الأشربة، باب كل مسكر حرام، ج ٢، ص ١١٢٤، رقم ٢٣٩٠.

فبعد أن ربي الإسلام عقيدة التوحيد في نفوس المسلمين وأنت النفوس طواعية لكل ما ينتج عن هذه العقيدة وأصبحت مهينة للتلقي والتنفيذ عن السماع، حينها تدرج معهم في موضوع الخمر، فقد بدأ أولاً بإظهار الخمر كواقع موجود، وتحدث عنها من ناحية الفائدة والضرر حيث يقول الله تعالى: «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا»^(١).

فهنا وجه أنظارهم إلى أن الحرمة إنما تقوم على غلبة الشر، فمهما يكن فيها من منافع اقتصادية في المتاجرة فيها، ومن منافع ظاهرية في حمرة الخد التي توهم بالصحة الجيدة الحسنة، فإنها مع هذا إثمها أكبر من نفعها، وتلك علة كافية لتحريمها، فكانت الخطوة الأولى تحريكاً للمنطق التشريعي في نفوس المسلمين، ثم تبعتها الخطوة الثانية بقوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ»^(٢).

وبذلك ضيق عليهم فرصة مزاولة السكر وتناول الخمر، فالصلوات الخمس قد شرعت في أوقات متقاربة لا يكفي ما بينها للإفاقة من نشوة الخمر، وبالتالي أصبحت فترة تناول الخمر محددة جداً بين فترة صلاة العشاء إلى صلاة الفجر، أما باقي الأوقات فلا يستطيع المسلم تناول الخمر فيها حرصاً على مواقيت الصلاة، وهنا أصبحت فرصة السكر نادرة بطبيعة الحال، وعندها حرم الله عز وجل الخمر بلهجة قاطعة جازمة فقال: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجُسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ، إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ»^(٣).

هنا قالوا انتهينا، وانتهوا حقيقة^(٤).

(١) سورة البقرة، الآية (٢١٩).

(٢) سورة النساء، الآية (٤٣).

(٣) سورة المائدة، الآيات (٩٠-٩١).

(٤) انظر: نضال عيسى، الطب الوقائي في الإسلام، ص ١٣٧؛ الدقر، روائع الطب الإسلامي، ص ٦٧،

ولم تشهد البشرية عبر تاريخها الطويل علاجاً ناجحاً لمشكلة الإدمان على الخمر والوقاية من آثاره البشعة في حياة المجتمعات البشرية مثل الحل الإسلامي الذي ما يزال المتدينون من المسلمين ينعمون في آثاره ضمن مجتمعاتهم^(١).

وقد أقر المشرعون والأطباء في كافة بلدان العالم أن الخلاص من أذى الخمرة وويلاته لا يكون إلا بتحريمها، وصدرت عدد من القوانين في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩١٩م وفي غيرها من البلاد الأوروبية بمنع تصنيع الخمر وبيعها، وأنفقت الحكومة الأمريكية ما يزيد عن ٦٠ مليون دولار على الدعاية وتوعية الناس كما طبعت آلاف الكتب لتنفيذ قانون المنع، كل هذا لم يفلح بل انتشرت الحانات السرية وظهرت الخمور الرديئة التي زادت من أضراره وكانت النتيجة فشل القانون وإلغاؤه بعد سنوات من صدوره^(٢).

وقد دفع هذا الأمر بمنظمة الصحة العالمية إلى إصدار تقرير تقول فيه: (إن المنظمة لم تستطع العثور على إجابة مقنعة، حول الدوافع التي تهيب بالناس إلى الإفراط في تناول المشروبات الكحولية مع كل ما يعرفونه من مضارها في عصر انتشار الثقافة الصحية انتشاراً واسعاً، عن طريق وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، كما أن منظمة الصحة العالمية تجد نفسها في حيرة حيال الوسائل الفعالة الناجعة لمساعدة المدمنين، وتخليصهم من هذه الآفة وباحثوا المنظمة يدركون صعوبة التغلب على الإدمان، ولا يعللون النفس بالأوهام في شأن الحد من أخطاره بالسرعة المطلوبة، غير أنهم يأملون أن يجدوا الوسيلة عبر تناول المعلومات، وعقد المؤتمرات، لمساعدة الحكومات المعنية للحد من تفشي الإدمان على الخمور في بلدانها، واتخاذ الإجراءات الآيلة إلى مكافحة أسوأ آثار الإدمان ووقف تفشيه، وسواء عن طريق التوعية الشعبية أو بوسائل الإعلام، أو بوسائل أخرى كفرض الرسوم المالية على المشروبات الكحولية ومكافحة تعاطيها من عمر معين..)^(٣).

(١) الدقر، روائع الطب الإسلامي، ص ٦٦.

(٢) المرجع السابق، ص ٦٦.

(٣) منشورات منظمة الصحة العالمية، نقلاً عن: نضال عيسى، الطب الوقائي في الإسلام، ص ١٣٦.

ونتابع الدراسة قائلة:

(إن الاتجاه العالمي يشير إلى المزيد من إدمان الكحول، ومزيد من حوادث القيادة أثناء السكر، ومزيد من المشاحنات والتوتر في العائلات التي يكثر بعض أفرادها -ولا سيما الأبوين- من استهلاك المشروبات الروحية، ومزيد من الأموال التي تنفق على العناية بدمني الكحول، وتوفير الرعاية الصحية لهم بإنشاء مراكز صحية ضخمة فقط لدمني الكحول..)(^١).

(إن درجة عالية من النجاح في الامتناع عن شرب الخمر دامت طوال (١٤) قرناً في البلدان التي تدين بالإسلام، وإن السياسة الوحيدة الناجحة التي استطاعت منظمة الصحة العثور عليها في مجال مكافحة الإدمان كانت تتمثل في الإسلام الذي يحظر شرب الخمر رسمياً وبصورة باتة قاطعة)(^٢).

الأضرار الصحية للخمر:

بعد أن رأينا كيف استطاع الإسلام بأسلوبه الفذ تربية المسلمين على الامتناع من مقاربة الخمر بكل سهولة ويسر، في حين فشلت الأنظمة والقوانين الوضعية بكل ما تملك من إمكانات عن كبح جماح شعوبها عنه، يجدر بنا أن نعرف ما هي الأمراض والآفات التي وقانا الله إياها نتيجة إبعادنا عن الخمر؟ وما هو هذا الإثم الكبير الذي تحدثت عنه الآية بأنه أكبر من النفع المرجو من الخمر؟

إن أضرار الخمر أكثر من أن تحصى، فهي للإنسان سم خالص حيث يعم ضررها كافة أجهزة الجسم، وبما أننا نبحث هنا بما يتعلق بسلامة العقل وحفظه من الآفات فسندكر بشيء من التفصيل أضرار الخمر على الجهاز العصبي، هذا الجهاز الذي له علاقة بالتفكير والإرادة وسلامة العقل والحواس، ومن ثم نذكر أضراره على أجهزة الجسم الأخرى إجمالاً.

(١) المرجع السابق، ص ١٣٦.

(٢) المرجع السابق، ص ١٣٦.

أولاً: تأثير الخمر على الجهاز العصبي:

(إن أهم جهاز يقع تحت تأثيرات الخمر الضارة هو الجهاز العصبي، المكون من مواد دهنية بروتينية ودهنية فوسفورية، وللكحول خاصية الاتحاد مع المواد الدهنية بل إذابتها، وتأثير الكحول على خلايا الجهاز العصبي هو تخديري وتثبيطي، وأول ما تتأثر هي خلايا القشرة من المخ أي الخلايا المسؤولة عن التفكير والإرادة والحكمة والعلم)^(١).

وقد قسم الدكتور البار تأثير الخمر على الجهاز العصبي إلى ثلاثة أقسام^(٢) كما يلي:

القسم الأول:

ناتج عن آثار الكحول السمية المباشرة على الجهاز العصبي، وتسبب ضموراً وحرصاً لخلايا المخ والقنطرة والمخيخ والعضلات، وتندرج تحته هذه:

١ - ضمور وتآكل خلايا قشرة المخ (*Cortical Atrophy*)

ويؤدي إلى نقص القدرات العقلية، ويؤدي في بعض الأحيان إلى البلهاء والعته ونقص الذكاء حتى في حالات صحوه الكامل.

٢ - ضمور خلايا المخيخ وفسادها (*Alcoholic Cerebellar Degeneration*)

ويؤدي ذلك إلى عدم التحكم في العصب الدهليزي المسؤول عن توازن وثبات حركة الجسم، وعليه يفقد المريض قدرته على الوقوف أو المشي دون ترنح، والاهتزاز السريع لمقلة العين وتلعثم الكلام.

٣ - مرض مارشيا فافا بيجنامي (*Marchia Fava - Bignami*) وأعراضه ما يلي:

(١) البار، الخمر بين الفقه والطب، ص ١٦٥، بتصرف.

(٢) المرجع السابق بتصرف واختصار، ص (١٧١-٢٠٨).

- اضطراب في العاطفة
- اضطراب في القدرات العقلية والمعلومات
- نوبات مختلفة من الهذيان والهلوسة
- نوبات الصرع
- تيبس في العضلات وشلل في الأطراف
- اضطراب الكلام
- ٤ - انحلال نخاع القنطرة الوسطى (*Central Pontine Myelinosis*)
يعاني المريض فيه من شلل، يشمل الوجه واللسان وعضلات البلع، وفقدان الوعي.
- ٥ - النوبات الدماغية الكبدية
وهي نوبات هذيان وارتعاش وفقدان للوعي، تصيب المرضى المصابين بتليف الكبد (*Liver Cirrhosis*).
- ٦ - اعتلال العضلات الكحولي (*Alcoholic Myopathy*)
تصاب فيه العضلات بآلام حادة وتقلصات، كما تنتفخ الأقدام وتصاب الياف العضلات بالحرض والهلاك.
- القسم الثاني^(١):
وهي الأمراض التي تنتج من التعود والإدمان على الكحول، ويندرج تحته ما يلي:
- ١ - الهذيان الارتعاشي (*Delerium Tremens*).

(١) البار، الخمر بين الطب والفقه، ص ١٩٠-١٩٧.

ومن أعراضه فقدان الشهية مع الأرق، ثم تظهر ارتعاشات واختلاجات فجأة في اليدين واللسان والوجه.

٢ - الصرع.

٣ - الهلوسة.

القسم الثالث^(١):

وهي مجموعة من الأمراض التي تنتج عن نقص فيتامينات ب، والتي يسببها شرب الخمر، ويؤدي نقص هذه الفيتامينات إلى أمراض الجهاز العصبي التالية:

١ - التهاب الأعصاب المتعدد (Polyneuropathy)

ويؤدي إلى التهاب الأعصاب الطرفية وشلل الأطراف وعدم إحساس اليدين حتى لو حرقن بالنار.

٢ - مرض فيرينكيه كورساكوف الدماغى (Wernicke - Korsakoff Encephalopathy)

وهو مرض خطير ينتج عن نقص الفيتامين ب ومن أعراضه:

- شلل في العصب القحفي

- تخليج مخيخي

- اضطراب وتشوش ذهني

٣ - عصاب كورساكوف (Korsakoff Syndrome)

وهو مرض نفسي، يفقد المريض فيه ذاكرته للحوادث القريبة العهد، ويجزم بوقوع حوادث وهمية.

(١) المرجع السابق، ص (١٩٧-٢٠٨).

٤ - التهاب عصب العين المؤدي إلى العمى (Optic Neuritis)

٥ - مرض البلاجرا (Pellagra)

ويظهر فيه جفاف الجلد وتشققه، ثم فساد خلايا المخ فالجنون.

وبمراجعة بعض التقارير والإحصاءات عن انتشار الأمراض العقلية الناتجة عن شرب الخمر يتضح الآتي^(١):

١- في سويسرا: أجريت دراسة عام ١٩٦٨م على ١٢٠٠ مريض دخلوا المصحات العقلية فتيبين أن نسبة ٢٦,٨٪ منهم من شارب الخمر.

٢- في يوغسلافيا: دراسة أجريت عام ١٩٧١م على ٦٠٠٠ مريض دخلوا المصحات العقلية فتيبين أن ٥٠٪ منهم من شارب الخمر.

٣- في الولايات المتحدة الأمريكية: دخل المصحات العقلية بسبب شرب الخمر في عام ١٩٧٢م نسبة ٣٤٪ من مجموع مرضى المصحات.

٤- في الأرجنتين: دخلها عام ١٩٧٥م نسبة ٣٠٪ إلى ٥٠٪ من شارب الخمر من مجموع مرضى المصحات العقلية.

٥- في استراليا: دخل المصحات العقلية عام ١٩٨٦م من شارب الخمر نسبة ٥٠٪ من مجموع مرضى المصحات.

أضرار الخمر على أجهزة الجسم الأخرى:

يعم ضرر الخمر كافة أجهزة الجسم بل يبدأ ضررها قبل شربها، فإن استنشاق صانعها أو غيره لأبخرتها يؤدي إلى الإصابة بالتهاب القصبات والرئة، وإلى إصابة بطانة الأنف، مما يؤدي إلى ضعف حاسة الشم، وهذا يتضح من معنى قوله تعالى: ﴿فاجتنبوه﴾ فهي تعني النهي عن الاقتراب منها مطلقاً، وهي أعم من

(١) الطويل نبيل صبحي، الخمر والإدمان الكحولي، ص ٨٠.

١ فرج زهران، المسكرات أضرارها وأحكامها، ص ٢٠٧.

النهي عن شربه^(١). ويختلف تأثير الخمر السمي كلما تغير مستواه في الدم فعندما يبلغ مستواه من ٢٠-٩٩ ملغ % يسبب تغير المزاج إلى عدم توازن العضلات واضطراب الحس، وفي مستوى من ١٠٠-١٩٩ ملغ % يظهر الغثيان وازدواج الرؤية واضطراب شديد في التوازن. وفي مستوى من ٢٠٠-٣٩٩ ملغ % تهبط حرارة البدن ويضطرب الكلام ويفقد الذاكرة. وفي مستوى ٤٠٠-٧٠٠ ملغ % يدخل الشارب في سبات عميق يصحبه قصور في التنفس وقد ينتهي بالموت^(٢).

كما أن الخمر بعد أن يمتص من الأمعاء ليصل الدم يمكن أن يعبر الحاجز الدماغي، ويدخل إلى الجنين عبر المشيمة، وأن يصل إلى كافة الأنسجة، لكنه يتوضع بشكل خاص في الأنسجة الشحمية، وكلما كانت الأعضاء أكثر تعقيداً وتخصصاً في وظائفها كانت أكثر عرضة لتأثيرات الخمر السمية. فلا عجب حين نرى أن الدماغ والكبد والغدد الصم من أوائل الأعضاء تتأثر بالخمر، حيث يحدث الخمر فيها اضطرابات خطيرة^(٣).

تأثير الخمر على الجهاز الهضمي:

يؤدي مرور الخمر في الفم إلى التهاب وتشقق اللسان، كما يضطرب الذوق نتيجة ضمور الحليمات الذوقية، ويجف اللسان وقد يظهر سيلان لعابي مقرف، ومع الإدمان تتشكل طلاوة بيضاء على اللسان تعتبر مرحلة سابقة لتطور سرطان اللسان، كما أن الإدمان كثيراً ما يترافق مع التهاب الغدد النكفية^(٤).

والخمر يوسع الأوعية الدموية الوريدية للغشاء المخاطي للمريء مما يؤهب لتقرحه، ولحدوث نزوف خطيرة تؤدي لأن يقيء المدمن دماً غزيراً، كما تبين أن ٩٠ % من المصابين بسرطان المريء هم مدمنوا خمر^(٥).

(١) الدقر، روائع الطب الإسلامي، ج ٣، ص ٧٥.

(٢) عرموش هاني، المخدرات امبراطورية الشيطان، ص ١٣٧.

(٣) الدقر، روائع الطب الإسلامي، ج ٣، ص ٧٦.

(٤) المرجع السابق، ج ٣، ص ٧٦.

(٥) البار: الخمر بين الطب والفقه، ص (٢٢٥-٢٢٩).

وفي المعدة يحتقن الغشاء المخاطي فيها ويزيد إفراز حمض كلور الماء والبيسين، مما يؤهب لإصابته بتقرحات ثم النزف، وعند المدمن تصاب المعدة بالتهاب ضموري مزمن يؤهب لإصابة صاحبها بسرطان المعدة الذي يندر جداً أن يصيب شخصاً لا يشرب الخمر. وتضطرب الحركة في الأمعاء عند شارب الخمر المعتدلين، وتحدث التهابات معوية مزمنة وإسهالات متكررة عند المدمنين، وتتولد عندهم غازات كريهة ويحدث عسر في الامتصاص المعوي^(١).

تأثير الخمر على القلب:

للخمر تأثيره المباشر على القلب، حيث أنه في حالة السكر يختل نظام دقات القلب فتسرع وتترأيد عن وضعها الطبيعي بسبب تأثير الكحول، ثم لا تثبت أن تثبط وتتناقص عن ذي قبل، وقد وجد في إحصاء نشر عام ١٩٦٦م أن ما بين ٢٦٪ إلى ٨٣٪ من شارب الخمر يعانون من أمراض القلب^(٢).

وهذه أهم أمراض القلب التي تنتج عن شرب الخمر^(٣):

- ١ - مرض البري بري (*Beriberi*): حيث يسترخي القلب نتيجة نقص الوارد من التيامين عند المدمن.
- ٢ - اعتلال عضلة القلب.
- ٣ - ارتفاع دهنيات الدم المسبب لتصلب الشرايين والذبحة الصدرية والجلطات.
- ٤ - هبوط ضغط الدم.

تأثير الخمر على الوظيفة الجنسية:

أكد الأطباء أن الخمر تزيد من شبق الأنثى فيضطرب سلوكها الجنسي، حتى أنه لا يستغرب أن تمارس المرأة أول عمل جنسي لها تحت تأثير الخمر، وقد أكدت

(١) مختار سالم، الطب الإسلامي بين العقيدة والإبداع، ص ٣٢٠-٣٢١.

(٢) الطويل، الخمر والإدمان الكحولي، ص ٧٣، ٧٤.

(٣) البار، الخمر بين الطب والفقه، ص (٢٩٣-٣١٥).

؛ القسوس فؤاد، حقيقة المخدرات، ص ٤٣.

الدراسات أن معظم حالات الحمل السفاحي حدثت أثناء الثمل. كما تضطرب الدورة الطمثية لدى المرأة المدمنة وتصل إلى سن اليأس قبل غيرها بعشر سنوات، وتتأذى الخلايا المنتشة مؤدية إلى ضرر في المبيضين.

أما عند الرجل، فعلى الرغم من ازدياد الرغبة الجنسية في المراحل الأولى من الشرب، لكن القدرة على الجماع تتناقص عند المدمن حتى العانة الكاملة.

والخمر يؤدي الخلايا المنتشة يتلفها مؤدياً إلى ضمور في الخصيتين، وقبل هذا يمكن ظهور نطف مشوهة يمكن أن تؤدي إلى أجنة مشوهة^(١).

تأثير الخمر على شباب الإنسان ومظهره:

للخمر تأثيره على شباب الإنسان وحيويته، حيث يؤدي تأثير الكحول السمي على الدماغ إلى تغيير بعض الموجات الكهربائية القصيرة في دماغ الشارب، لذلك تعرف هذه الظاهرة في الشاربين الشباب باسم (الشيخوخة المبكرة)، ويلاحظ أن السكير ابن الأربعين يكون نسيج جسمه كنسيج ابن الستين من عمره، ويكون كالهرم جسماً وعقلاً^(٢).

ولذلك فإننا نجد السكارى يسرع إليهم النشوة فتجحف أعينهم وتمتقع سحتهم وتعظم بطونهم.

بالإضافة إلى كل ذلك، فيما أن الخمر يعطل الحواس فإن له علاقة وثيقة بالقتل والتعدي على الآخرين والاغتصاب والانتحار.

(ففي دراسة أجريت في الولايات المتحدة الأمريكية تبين أن ٦٤٪ من حوادث القتل العمد له علاقة مباشرة بالخمر وأن ٤١٪ من حوادث التعدي ترجع إلى الخمر، و ٣٠٪ من حوادث الانتحار، و ٣٤٪ من حوادث الاغتصاب لها علاقة بالخمر، وأن ٦٠٪ من جرائم القسوة البدنية ضد الأطفال تعود إلى الخمر، و ٧٥٪ من حوادث

(١) الدقر، روائع الطب الإسلامي ص ١٨٠ الوقفي إبراهيم، تلك حدود الله، ص ٢٠٨.

(٢) فرج زهران، المسكرات أضرارها وأحكامها، ص ٢٠٧.

الطويل، الخمر والإدمان الكحولي، ص ٧٥.

السيارات تعود إلى السكر، وأن المدمن أكثر تعرضاً لإصابات العمل بنسبة ١٠٠٪، وأن معدل عمره ينقص ١٢ عاماً عن أقرانه، وأن خسائر الإدمان المالية تقدر بحوالي ٣٢ مليون دولار سنوياً^(١).

المطلب الثاني: تحريم المخدرات

المخدر لغة من الخدر وهو الضعف والكسل والفتور والاسترخاء يقال: تخدر العضو إذا استرخى فلا يطيق الحركة^(٢).

وتطلق المخدرات في الاصطلاح على كل ما يشوش العقل والحواس بالتخيلات والهلوسة بعد نشوة وطرب وتؤدي إلى الاعتياد عليها والإذعان لها^(٣).

ومن أشهر أنواعها الحشيش (نبات مخدر) ومستحضرات وأوراق الكاكا وخلصتها السائلة، والكوكائين وأملحة ومشتقاته، والقات (المعروف في اليمن) والأفيون ومستحضراته والمورفين والهروين^(٤).

ويشعر متعاطيها بالنشوة المصحوبة عادة بالضحك والقهقهة غير المبررة، وتختل أحجام وأشكال المرئيات والمسافات، ويمر الزمن ببطء شديد عنده، وتختل ذاكرته بالنسبة للأحداث القريبة كما ينزلق في الخيال مع ازدياد الجرعة فيخطئ في تفسير ما تدركه الحواس، ثم تعتريه الهلوسات السمعية والبصرية، وله آثار مزعجة لمن يتعاطاه ابتداء إذ قد يفقد السيطرة على نفسه مع قلق شديد، أما المدمن فيتنصف باحمرار عينيه وانخفاض ضغطه الدموي وتسارع دقات القلب، وتتعطّل خمائر الكبد مما يقلل في فعالية معظم الأدوية التي يتناولها المدمن^(٥).

(١) ماهر حتوت، أمراض مستعصية في المجتمع الأمريكي واقتراح علاج إسلامي ص ٦٨، أبحاث وأعمال المؤتمر العالي الأول عن الطب الإسلامي - الكويت ١٩٨١، وزارة الصحة العامة، نقلاً عن:

كنعان، الموسوعة الطبية الفقهية، ص ٤٣٧.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج ٥، ص ٣١٤.

(٣) النسيمي، الطب النبوي والعلم الحديث، ج ٢، ص ٣٧.

(٤) المرجع السابق، ج ٢، ص ٣٥.

(٥) الدقر، روائع الطب الإسلامي ج ٣، ص ١١٢.

حرمة المخدرات:

المخدرات على اختلاف أنواعها حرام قليلها وكثيرها، لما ورد عن النبي - صلى الله عليه وسلم - من أنه: (نهى عن كل مسكر ومفتر)^(١)، والمفتر هو كل ما يولد الفتور والاسترخاء والخدر في الجسم. وقد حكى القرافي^(٢)، وابن تيمية^(٣) الإجماع على تحريم الحشيشة.

ثم تتابعت فتاوى الفقهاء في العصر الحديث، فردية وجماعية بتحريم المخدرات، عندما انتشرت في العالم الإسلامي، وتنبهوا إلى أبعادها ومخاطرها، وأنها لم تعد مشكلة فرد أو حتى مجموعة أفراد، ولكنها مشكلة قطاعات واسعة من الأمة الإسلامية في كثير من أقطارها، لهذا اتجهت آراؤهم إلى التشديد في إيقاع العقوبة وخاصة على المهرب والتاجر والمروج.

ويلخص هذا الموقف ما جاء في فتوى مفتي مصر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق^(٤)، وقد وضع فضيلته جملة من المبادئ التربوية قبل أن يفصل في الفتوى جاء فيها ما يلي:

- ١ - أجمع فقهاء المذاهب الإسلامية على تحريم إنتاج المخدرات وزراعتها وتجارتها وتعاطئها، طبيعية (أي مستخرجة من النباتات) أو مخلقة (بتصنيعها كيميائياً أو بتحويلها من أصل نباتي إلى مادة جديدة)، وعلى تجريم من يقدم على ذلك.
- ٢ - لا ثواب ولا مثوبة لما ينفق من ربحها، والكسب الحرام مردود على صاحبه يعذب به في الآخرة.

(١) سنن أبي داود، كتاب الأشربة، باب النهي عن المسكر، ج ٢، ص ٣٢٩ رقم ٣٦٨٦، قال الشيخ الألباني: ضعيف (الألباني، ضعيف أبي داود، ط ص ٣٩٣)، لذلك لا يعتمد عليه كدليل تحريم، وإنما أدلة تحريم المخدرات ما ورد ذكره في فتوى مفتي مصر اللاحقة.

(٢) القرافي، الفروق، ج ١، ص ٢١٦.

(٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج ٣٤، ص ٢١١.

(٤) دار الإفتاء المصرية، الفتاوى الإسلامية ج ١٠، ص ٣٥٠٧.

٣ - لا يحل التداوي بالمحرمات إلا عند تعينها دواء وعدم وجود مباح سواها، وبقدر الضرورة.

٤ - المجالس التي تعد لتعاطي المخدرات مجالس فسق وإثم، والجلوس فيها محرم.

٥ - على الكافة إرشاد الشرطة المختصة لمكافحة تجارة هذه السموم القاتلة والقضاء عليها، وهذا الإرشاد هو ما سماه الرسول الأكرم بالنصيحة لله ولرسوله وللأئمة المسلمين وعامتهم.

وبعد أن قدم للموضوع بحماية الإسلام للكلية الخمس وهي الدين، والنفس، والعقل، والعرض، والمال، وأوضح أن هذه الكليات كلها قد تصاب نتيجة تعاطي المخدرات، ولذا فهي محرمة، تحدث عن تحريم الخمر وأن الخمر هي كل ما خامر العقل، واعتبر لذلك المخدرات خمراً لأنها تخامر العقل. قال: (وإذا كانت المخدرات كالحشيش والأفيون والكوكايين وغيرها من المواد الطبيعية المخدرة، وكذلك المواد المخلقة المخدرة، تحدث آثار الخمر في الجسم والعقل بل أشد، فإنها تكون محرمة بحرفية النصوص المحرمة للخمر، وبروحها ومعناها، والتي استمدت منها القاعدة الشرعية التي تعتبر من أهم القواعد التشريعية في الإسلام، وهي دفع المضار وسد ذرائع الفساد)^(١).

الأضرار الصحية للمخدرات:

لقد عرف علماءنا المسلمون منذ البداية المضار الصحية للحشيشة وأمثالها من المخدرات وفيها يقول ابن حجر الهيتمي: (وفي أكلها مائة وعشرون مضرة دينية ودنيوية، منها أنها تورث النسيان، وموت الفجاءة، واختلال العقل، ودوام الرعشة، وتذهب الحياء والمروءة، والفتنة وتقطع النسل، وتجفف المنى وتورث العنة)^(٢).

(١) المرجع السابق، ج ١٠، ص ٣٥٠٧.

(٢) ابن حجر الهيتمي، الزواجر عن اقتراف الكبائر ج ١، ص ٢١٤.

ثم ذكر بعد ذلك الأفيون ومضاره على آكليّه، مبالغاً في التحذير والتنفير منه فقال: (وهذه القبايح كلها موجودة في الأفيون.. بل يزيد الأفيون بأن فيه مسخاً للخلفة، كما يشاهد من أحوال آكليّه، تلك القبايح التي هي مسخ البدن والعقل وصيرورتهم إلى أخس حالة، وأرث هيئة، وأقذر وصف، وأفضع مصاب، لا يتأهلون لخطاب، ولا يميلون قط إلى صواب، لأن العقل الذي هو آلة الكمال زال عن محله فصار كالأنعام بل هو أضل سبيلاً^(١)).

وجاء العلم الحديث ليثبت هذه المضار، ويظهر أن لكل مخدر أثره الخاص على متناوله، ونلخص هنا الأضرار المدمرة التي تشترك بها كافة المخدرات^(٢):

فالإدمان يؤدي إلى ضمور قشرة الدماغ التي تتحكم في التفكير والإرادة. وتؤكد الأبحاث الطبية أن تعاطي المخدرات، ولو بدون إدمان، يؤدي إلى نقص القدرات العقلية وإلى إصابة خلايا المخيخ بالضمور مما يخل بقدرة الشخص على الوقوف من غير ترنح.

أما انحلال نخاع القنطرة الوسطى عند المدمن فيؤدي إلى شلل النصف السفلي من الجسم. كما يصاب المدمن بنوبات من الهذيان والارتعاش وفقدان الوعي، وتليف كبده، وتضخم طحاله كثيراً، ويصاب بالتهاب الأعصاب المتعددة، ومنها العصب البصري، المفضي إلى العمى وإلى التهاب مزمن في البلعوم والمريء قد يفضيان إلى سرطان المريء.

كما يصاب المدمن بالقيء المتكرر، وفقدان الشهية مما يؤدي به إلى الهزال الشديد، كما أن المخدرات تهيج الأغشية المخاطية للأمعاء والمعدة وتؤدي إلى احتقانها وتقرحاتها، وما ينجم عن ذلك من نوبات إسهال وإمساك وسوء هضم مع سوء امتصاص للغذاء يزيد الطين بلة.

وكل المخدرات، يدعي متعاطوها أنها مثيرة جنسياً وأنها تزيد من متعتهم، غير أن الباحثين يؤكدون أن الإدمان في خاتمة المطاف يؤدي إلى العجز الجنسي والعنانة الكاملة عند الرجل وإلى البرود الجنسي عند المرأة.

(١) المرجع السابق، ج ١، ص ٢١٤-٢١٥.

(٢) البار، المخدرات الخطر الداهم، ص (١٦٣-٢٠٧).

؛ عزموش، المخدرات امبراطورية الشيطان، ص (١١٠-١١٣).

ومن أبرز أضرار المخدرات النفسية: الشعور بالاضطهاد والكآبة والتوتر العصبي النفسي، وحدوث هلوسات سمعية وبصرية مثل سماع أصوات ورؤية أشياء لا وجود لها، وتخيلات قد تؤدي إلى الخوف فالجنون أو الانتحار، كما تحدث اضطرابات في تقدير الزمان والمكان مما ينتج عنه أحكام خاطئة، وضعف في التركيز، يقلل من تفاعل المدمن مع محيطه، بحيث لا يسعده شيء سعادته بالحصول على المخدر.

ويؤدي تناول المخدرات إلى زيادة حوادث السير، وارتكاب جرائم السرقة للحصول على المال اللازم لشراء المخدر، بل تكوين عصابات مسلحة تقتل وتفتك، كما يؤدي إلى شيوع البغاء بين الفتيات المدمنات.

(كما يتدهور المستوى الدراسي للطلاب المدمنين، وينتشر فيهم الكسل والإهمال والكذب، وتتدنى الكفاءة والإنتاج، وينزوي المدمن عن الآخرين ويختلط بأمثاله فقط)^(١).

لذلك فإن غرس القيم الإسلامية والحث على التمسك بالإسلام والتزامه منهج حياة. وبيان موقفه من تعاطي المخدرات، وتفصيل ما ينتج عنها من أضرار ومخاطر تهدد أمن الفرد والأسرة والمجتمع، من أبلغ الوسائل المعينة على تقليص هذه المشكلة الخطيرة.

ولقد أثبتت التجارب القليلة جداً التي قام بها بعض الدعاة مع بعض المتعاطين، جدوى هذه الأسلوب المتميز إذ كثيراً ما يبعد المتعاطي عن هذه المخدرات خلال جلسة أو جلستين مع هؤلاء الدعاة^(٢).

وهنا ينبغي أن يكون للمساجد ووسائل الإعلام والمناهج الدراسية والأندية الرياضية والمؤسسات الاجتماعية دور متميز في التنفير والتحذير من هذه السموم الفتاكة، ولو أن أئمة المساجد ركزوا على هذا الموضوع في خطب الجمعة وتناوله أساتذة الجامعات بالمناقشة والتحليل، وقام بإيضاحه الشعراء والأدباء بأسلوب سهل

(١) بربرور عادل وآخرون، الطب الوقائي في الإسلام، ص ١٢٦.

(٢) الطيار عبد الله، المخدرات في الفقه الإسلامي، ص ٧٤.

جذاب لحدّ ذلك من تفشي هذه الظاهرة، ونحن نعلم يقيناً أن الوقاية خير من العلاج وهذا من أفضل وسائل الوقاية.

وتشير التجارب أنه حتى في السجون ومع عتاة المجرمين مدمني الخمر والهيروين في أمريكا، استطاع نور الإسلام عندما خالطت بشاشته القلوب أن يحول تلك النفوس المريضة التائهة القلقة الضالة الوالغة في الإجرام والإدمان إلى نفوس مشرقة مطمئنة، وإلى سلوك مهذب رفيع، حتى أن المسؤولين عن هذه السجون من البيض أصيبوا بالدهشة لما يرونه من هذا الانقلاب الغريب في حياة هؤلاء المجرمين، وأصبحوا نتيجة لذلك يفتحون أبواب السجون للدعاة إلى الله كي يحولوا هذه النفوس الساقطة المريضة إلى نفوس أشربت بنور الإيمان، وقد نشرت ذلك العديد من الصحف والمجلات والكتب، منها مجلة لايف الأمريكية تحت عنوان (إيمان صارم وراء القضبان)^(١).

المطلب الثالث: تنمية العقل ودور العقيدة في حفظه

(ومن أجل المحافظة على العقل، دعا الإسلام إلى تنميته مادياً ومعنوياً، أما تنميته مادياً يتم عن طريق الغذاء الجيد الذي يقوي الجسد، وينشط الذهن، لأن قلة الطعام والأكل، قد توقع الإنسان في حيرة من أمره فلا يستطيع أن يصدر حكماً صحيحاً في مجال القضاء، أو يتأمل ويخشع في أثناء الصلاة، ومن هنا لم يجز الإسلام للقاضي أن يقضي وهو جوعان، وأجاز تقديم الطعام على الصلاة، لأن الطعام يحول دون التدبر والخشوع)^(٢).

وأما تنميته معنوياً، يكون بالاهتمام بالعلم والتعلم، والاستزادة من المعرفة ولو استغرق ذلك العمر كله، قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾^(٣).

(١) البار، المخدرات الخطر الداهم، ص ٣٦٢.

(٢) الإبراهيم، محمد عقله، الإسلام خصائصه ومقاصده، ص ١٩٢.

(٣) سورة طه، الآية (١١٤).

وقد حث الإسلام بصورة متواصلة على العناية بتنمية العقل، وترقية الشخصية الإنسانية عن طريق الضرب في الأرض والتعرف على أحوال الأمم السابقة وطبائعها^(١).

كما أن هناك بعض الأسباب النفسية والروحية قد تؤدي إلى الأمراض العقلية، وتقف التربية الإسلامية بما تحمله من فكر وعقيدة حائلاً دونها، ومن هذه الأسباب:

الاختلال في التوازن العاطفي، ويرجع ذلك إلى عدم تبني المرء نظاماً اعتقادياً أخلاقياً سليماً، أو لعدم وجود مثل هذا النظام في الحياة الاجتماعية^(٢).

ومنها تزعزع العقيدة أو فقدان الإيمان بالمبادئ الروحية الثابتة^(٣) ولذا صور الله هذه الحالة في قوله تعالى: «وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ»^(٤) وقد استرشد بذلك بعض فلاسفة الغرب فهذا الفيلسوف الألماني ليبنتز يقول: (ولإزالة القلق النفسي والروحي يجب أن يؤمن المرء بالله عن طريق العقل، وأن يملأ نفسه بسرور عقلي لأن القلق ناتج عن الشك والشك وسيلة لتفتيت القلب) كما يقول وليم جيمس: (إن الإيمان بالله هو الذي يجعل للحياة قيمة، وهو الذي يمكننا من أن نستخرج من الحياة كل ما فيها من لذة وسعادة)^(٥).

ومنها كذلك (وجود تناقضات في حياة المرء الفردية والاجتماعية، مثل التناقض بين مسلكه وبين عقيدته، أو عدم استطاعة المرء اختيار اتجاه معين بين الاتجاهات المتضاربة في المجتمع، وتصديقاً لهذه الفكرة فقد رأيت شاباً عندما وقع في مثل هذا التناقض ولم يستطع انقاد نفسه منه أقدم على الانتحار ثم أنقذوه، وقال لي معبراً عن نفسه بأن الحياة أصبحت صعبة علي حتى رجحت الموت عليها. ولهذا ينصح علماء النفس بتوحيد شخصية المرء، وتقويتها وانسجام عناصرها وتوحيد

(١) الإبراهيم، الإسلام خصائصه ومقاصده، ص ١٩٤.

(٢) الكسيس كارل، تأملات في سلوك الإنسان، ص ١٣.

(٣) الشهرستاني عبد الرزاق، أسس الصحة والحياة، ص ٧١١.

(٤) سورة الحج، آية (٣١).

(٥) المصري محمد أمية، لمحات في وسائل التربية الإسلامية، ص ١١٣.

وجهتها لتكوين شخصيات قوية متماسكة^(١)، ويؤيد ذلك المفكر الألماني لينبتر بقوله: (يتركب أسعد الناس من مجموعة متناسقة من أوجه النشاط العقلي والخلقي)^(٢)، ويقول الدكتور الكسيس كارل مؤيداً كل ذلك (إن الأحوال التي تساعد على تزايد الضعف العقلي والجنون الدوري تظهر على الأخص في البيئات الاجتماعية التي تكون فيها الحياة قلقة مضطربة وغير منظمة، ويكون الغذاء فقيراً أكثر مما ينبغي، والزهري منتشراً والجهاز العصبي مترنحاً، حياة اختفت فيها الرياضة الخلقية وسادت الأثرة وعدم الشعور بالمسؤولية والتشتت، ولم يعد للاختيار الطبيعي مكان فيها)^(٣) ومما لا يشك فيه دارسو الإسلام أنه لو طبقت المبادئ الإسلامية في الحياة لما وجد مكان لهذه الحالات المرضية في الحياة^(٤).

(١) القوسي عبد العزيز، علم النفس أسسه وتطبيقاته التربوية، ص ٢٩٨-٣٠٠.

(٢) آثار لينبتر الفلسفية، ج ١، ص ١٤٨.

نقلاً عن: بالجن مقداد، التربية الصحية في ضوء الإسلام، مجلة المسلم المعاصر عدد ٢٢ شوال، ١٤٠٢هـ، ص ١٠٥.

(٣) الكسيس كارل، الإنسان ذلك المجهول، ص ٣١٥.

(٤) انظر: بالجن، التربية الصحية في ضوء الإسلام، ص ١٠٥.

الفصل الثالث

التربية الوقائية الصحية لحفظ النسل والمال

معنى النسل في اللغة: الولد^(١)

وحفظه يعني: المحافظة على النوع الإنساني، والعناية بتربية الأولاد والذرية، وتشريع الوسائل التي من شأنها أن تضمن ديمومة الأسرة واستقرارها كي تؤدي الثمار المرجوة منها، حافظة للنسل، حامية للشرف والعرض، صائنة للنسب^(٢).

أما المال فهو كل ما يقع عليه الملك، ويستند به المالك، ويختص به عن غيره إذا أخذ من طريق مباح^(٣).

ولما كان المال قرين الروح، وعدل الولد، وكان حبه والحرص عليه من ملازمات الفطرة الإنسانية، فإنه من الطبيعي أن يشرع الإسلام من الطرق والوسائل ما يحفظ على الإنسان ماله، ويصونه من العبث والضياع نظراً لكونه ضرورياً ضرورة الحياة^(٤).

وسيتحدث الباحث في هذا الفصل عن التربية الوقائية الصحية لحفظ النسل

والمال في مبحثين:

(١) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج ٤، ص ٥٧.

(٢) أبو زهرة محمد، أصول الفقه، ص ٣٦٩؛ الزحيلي وهبة، الأصول العامة ص ١٥٢.

(٣) الشاطبي، الموافقات، ج ٢، ص ١٧.

(٤) حوى سعيد، الإسلام، ج ٢، ص ٥.

المبحث الأول: التربية الوقائية الصحية لحفظ النسل

التناسل ضرورة من ضروريات الحياة، إذ جعله الله سبباً للبقاء والاستمرارية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

يقول ابن عاشور: (وأما حفظ الأنساب ويعبر عنه بحفظ النسل فقد أطلقه العلماء ولم يبينوا المقصود منه ونحن نفصل القول فيه، وذلك أنه إن أريد به حفظ الأنساب أي النسل من التعطيل فظاهر عده من الضروري، لأن النسل هو خلقه أفراد النوع فلو تعطل يؤول تعطيله إلى اضمحلال النوع وانقراضه، كما قال لوط لقومه: (وتقطعون السبيل) على أحد التفسيرين، فبهذا المعنى لا شبهة في عده من الكليات لأنه يعادل حفظ النفوس، فيجب أن تحفظ ذكور الأمة من الاختصاص مثلاً ومن ترك مباشرة النساء باطراد العزوبة ونحو ذلك، وأن تحفظ إناث الأمة من قطع أعضاء الأرحام التي بها الولادة، ومن تفشي إفساد الحمل في وقت العلوق، وقطع الثدي فإنه يكثر الموتان في الأطفال بعسر الإرضاع الصناعي على كثير من النساء وتعذره في البوادي)^(١).

من أجل ذلك شرعت التربية الإسلامية الزواج وحضت عليه، تلبية للغريزة الجنسية، ليسير الإنسان مع فطرته وميله الغريزي بكل تلاؤم وتجاوب واتساق، دون أن يتأثر من فتنة الحياة، وهياج الغريزة، وأشواق الفطرة، وبالاستجابة لهذه الغريزة يحفظ جنسه ويبقى نوعه.

وقد حرم الإسلام العزوف عن الزواج والزهد فيه بنية التفرغ للعبادة والتقرب إلى الله، وحاربت التربية الإسلامية التوجه للرهبانية بشدة لا هوادة فيها، لكونها تتعارض مع فطرة الإنسان وتصطدم مع غرائزه وميوله^(٢).

وقصة الثلاثة الذين زهدوا في الدنيا وأرادوا المبالغة في العبادة مشهورة حيث رد عليهم الرسول -صلى الله عليه وسلم- بقوله: «لأما أنا فأصلي وأرقد»

(١) ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، ص ٨١.

(٢) علوان عبد الله ناصح، تربية الأولاد في الإسلام، ج ٢، ص ٤٣٥.

وأصوم وأفطر وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني ﴿١﴾.

بل بلغ بالتربية الإسلامية أن ترصد مكافأة تشجيعية لإتيان الجنس في محله وذلك بجعله في ميزان حسنات الإنسان، فعن أبي ذر رضي الله عنه - أن أناساً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا للنبي: يا رسول الله: ذهب أهل الدثور (الغنى) بالأجور، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم، قال عليه الصلاة والسلام: ﴿أَوَ لَيْسَ لِلَّهِ قَدْ جَعَلَ لَكُمْ مَا تَصَدَّقُونَ؟ إِنْ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَبِكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَبِكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَبِكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَفِي بَضْعٍ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ (أي الجماع). قالوا: يا رسول الله! أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال عليه الصلاة والسلام: ﴿أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وَزْرٌ؟﴾. قالوا: بلى. قال: ﴿فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ﴾. ﴿٢﴾.

وفي مقابل هذا لم تغفل التربية الإسلامية الجوانب الوقائية الصحية في علاقة الرجل بالمرأة، فلم تطلق لها العنان بلا حدود ولا رادع، فيصل الإنسان إلى مرتبة الحيوان، فيمارس الزنا، والشذوذ الجنسي، ويغتصب ويعربد ويجلب الشر لنفسه ومجتمعه بهذه الإباحية.

بل جاء الإسلام بتنظيم الحياة الزوجية، بين الرجل والمرأة (ووضع هذه العلاقة في سياقها المنتج السليم الذي يحافظ على سلامة الزوجين من الأمراض ويوجه طاقتهما للإنتاج، وزرع الحياة ورعايتها وتعهدا بما يرضي الله ويسعد الإنسان) ﴿٣﴾.

(١) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، ج ٥، ص ١٩٤٩، رقم ٤٧٧٦، صحيح

مسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح، ج ٢، ص ١٠٢٠، رقم ١٤٠١.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع، ج ٢، ص ٦٩٧، رقم

١٠٠٦.

(٣) علوان، تربية الأولاد في الإسلام، ج ٢، ص ٤٣٥.

ومن أجل هذا المنهج الوقائي الصحي في حفظ النسل حرم الله سبحانه وتعالى مقاربة الفواحش وحذر منها أيما تحذير، وتوعد مرتكبيها بالبلاء والعذاب في الدنيا والآخرة، وفرض من أجلها عدداً من الإجراءات التربوية الوقائية تتفق وواقعية التربية الإسلامية، وهذا ما سنوضحه في المطالب التالية:

المطلب الأول: تحريم الزنا

حرم الله سبحانه وتعالى الفواحش عموماً، والزنا على وجه الخصوص، وحذر من ذلك أيما تحذير، قال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ^(١)﴾، وقال: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزَّنى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا^(٢)﴾.

وقال أيضاً في وصف المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا، يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا، إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا^(٣)﴾.

كما جاءت الأحاديث عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- تحمل وعيداً شديداً للزناة منها:

-قوله -صلى الله عليه وسلم-: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ^(٤)».

-أن النبي -صلى الله عليه وسلم- رأى رؤيا فيها أنه قال: «لأنه أتاني الليلة آتيان وأنهما ابتعثاني، وأنهما قالَا لي: انطلق وأني انطلقت معهما...» فذكر الحديث وفيه: فانطلقنا فأتينا على مثل التتور قال: واحسب أنه كان يقول: فإذا فيه

(١) سورة الأعراف، الآية ٣٣.

(٢) سورة الإسراء، الآية ٣٢.

(٣) سورة الفرقان، الآيات ٦٨-٧٠.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب ما يحذر من الحدود والزنا وشرب الخمر، ج ٦، ص ٢٤٨٧،

رقم ٦٦٣٩٠؛ صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية ج ١، ص ٧٧، رقم ٥٧.

لغط وأصوات، قال فاطلنا فيه فإذا فيه رجال ونساء عراة، وإذا هم يأنثيهم لهب من أسفل منهم، فإذا أتاها ذلك اللهب ضوضوا، قال: قلت لهم ما هؤلاء؟.. فذكر الحديث وفيه: «وأما الرجال والنساء العراة الذين في مثل بناء التنسور فهم الزناة والزواني» (١).

وقد جاءت الإشارة في الحديث الشريف أن هذه الجريمة الكبرى تتسبب في زوال الصحة والعافية، وحلول البلايا والأسقام في قوله -صلى الله عليه وسلم-: «لم تظهر الفاحشة في قوم قط، حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا» (٢).

وقد ثبت علمياً ثبوتاً لا مجال للشك فيه عظم الضرر الذي يسببه الزنا، وأنه من أكبر الأسباب الموجبة للفساد، وانحطاط الآداب، وأكبر باعث على السرف والسرف والفجور (٣).

ولا يقتصر ضرر الزنا على مرتكبيه فقط، بل يتعدى إلى غيرهم فينزل غضب الله على قوم يكثر فيهم الزنا، فيكثر فيهم الموت، فعن ابن عباس رضي الله عنهما - أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «إذا ظهر الزنا والربا في قرية، فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله» (٤).

وعن ميمونة رضي الله عنها - زوج النبي -صلى الله عليه وسلم- قالت: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «لا تزال أمتي بخير ما لم يفش فيهم ولد الزنا، فإذا فشا فيهم ولد الزنا فيوشك أن يعمهم الله عز وجل بعقاب» (٥).

(١) صحيح البخاري، كتاب التعبير، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح، ج ٦، ص ٢٥٨٣، رقم ٦٦٤٠.

(٢) سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب العقوبات، ج ٢، ص ١٣٣٢، رقم ٤٠١٩، قال الشيخ الألباني: حسن، (الألباني، صحيح سنن ابن ماجه، ج ٢، ص ٣٧٠).

(٣) غازي عبد اللطيف، الأمراض التناسلية بين الطب والدين، ص ١٨.

(٤) الحاكم، المستدرک علی الصحيحین، ج ٢، ص ٤٣، رقم ٢٢٦١، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد.

(٥) مسند الإمام أحمد، ج ٦، ص ٣٣٣، رقم ٢٦٨٧٣، قال المنذري: إسناده حسن (الترغيب والترهيب ج ٣، ص ١٩١).

وفي الموطأ عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: «لما ظهر الغلول في قوم قط إلا ألقى في قلوبهم الرعب، ولا فشا الزنا في قوم قط إلا كثر فيهم الموت...»^(١).

ويمكن تلخيص الأضرار الصحية المترتبة على الزنا فيما يلي:

أولاً: الأمراض البدنية:

يعتبر الزنا سبباً مباشراً في انتشار الأمراض التناسلية التي تفتك بالأبدان وتنتقل إلى الأبناء ومن هذه الأمراض:

١ - الزهري (Syphilis)

(وهو مرض تناسلي مزمن سريع الانتقال، واسع الانتشار يتسبب من انتقال بكتيريا *Treponema Pallidum* من الشخص المصاب إلى الشخص الصحيح من خلال اللقاء الجنسي، اكتشف في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي، عندما انتشر طاعونه في أوروبا، وأجزاء من آسيا، مما أدى إلى وفاة الآلاف، وإصابة آخرين بعيات مستديمة، هذا ولقد عاد هذا المرض إلى الانتشار مرة أخرى، وذلك بعد ظهور مرض: (الإيدز)، في حين ظن الجميع أنه قد تم القضاء عليه كلياً بعد اكتشاف الدواء المناسب لعلاجهِ)^(٢).

وإذا ما ولد طفل للمصابة بالزهري يبدو كأنه عادي، ثم يظهر عليه بعد فترة من الزمن طفحات جلدية تغطي جسده كله، وتشقق الشفتان وحول فتحة الأنف وتسقط الأظافر، ويتضخم الكبد، ويزداد حجم الرأس، وتشوه الأسنان، وتلتهب الأعصاب والعينان، وقد ينتهي المرض بفقد الإبصار، وتورم العظام والجمجمة، وتلتهب الأذنان، ويكون الصمم نتيجة ذلك، وهذا ما جناه الآباء المنحلون على أبنائهم^(٣).

(١) مالك، الموطأ، كتاب الجهاد، باب ما جاء في الغلول، ج ٢، ص ٤٦٠، رقم ٩٨١.

(٢) غازي عبد اللطيف، الأمراض التناسلية بين الطب والدين، ص ٣٣.

(٣) جليبي، الطب محراب الإيمان، ج ٢، ص ١٧٣.

ويقول أبو الأعلى المودودي: (يقول طبيب فرنسي يدعي (اليريه): يموت بالزهري وما يتبعه من الأمراض في فرنسا ثلاثون ألف نسمة سنوياً - وهذا المرض هو أفتك الأمراض بعد حمى الرق)^(١).

ويقول أحمد فائز: (يموت في أمريكا بين ثلاثين وأربعين ألف طفل بمرض الزهري الموروث وحده في كل سنة، والوفيات التي تقع بسبب جميع الأمراض - عدا السل - يربو عليها عدد الوفيات الواقعة من مرض الزهري وحده)^(٢).

٢ - السيلان (Gonorrhoea):

لا يذكر مرض الزهري إلا ويذكر قرينه السيلان، وكثيراً ما يلزم ميكروب السيلان (*Neisseria gonorrhoea*) ميكروب الزهري، ويصاب المريض بالاثنتين معاً، ويظهر على شكل التهاب حاد في مجاري البول، ومن ثم له مضاعفات خطيرة على سائر الجسم وتسببه بكتيريا من جنس نيسريا (*Neisseria*)^(٣). (ويعد هذا المرض من أهم الأسباب التي تؤدي بالمصاب إلى العقم حتى أن البرفسور (سومرز) يسميه بالمعقم الأكبر الذي يحرم بعض مرضاه من نعمة الصحة والولد)^(٤).

٣ - مرض القرحة الرخوة (Chancroid):

مرض معد ذو طبيعة حادة، تسببه بكتيريا صغيرة جداً تدخل عن طريق الجلد والأغشية المخاطية، مسببة تقرحات في أماكن دخولها يتبعها تضخم وتقيح في الغدد اللمفاوية المجاورة^(٥).

(١) المودودي، الحجاب، ص ١١٣، ١١٤.

(٢) أحمد فائز، دستور الأسرة في ظل القرآن، ص ٢٣٦.

(٣) انظر: عبد الله إبراهيم، المسؤولية الجسدية في الإسلام، ص ١١٠.

غازي عبد اللطيف، الأمراض التناسلية بين الطب والدين، ص (٤٠-٤٧).

(٤) القضاء عبد الحميد، الأمراض الجنسية عقوبة إلهية، ص ٥١.

(٥) المرجع السابق، ص ٥٩.

٤ - متلازمة نقص المناعة المكتسبة (الأيدز) AIDS

وهو مرض يسببه فيروسات نقص المناعة (HIV) *Human immunodeficiency viruses* التي تصيب الخلايا الليمفاوية المسؤولة عن ضبط المناعة في الجسم، وهي التي تعرف باسم الخلايا الليمفاوية التائية (*T Imphocytes*) ، ويعني فقدان المناعة في الجسد، ويؤدي بصاحبه إلى الموت في الغالب، وقد ظهر هذه المرض بصورة واضحة جلية بين الشواذ جنسياً والزناة وهو سريع العدوى عن طريق اللقاء الجنسي، مما أثار الرعب والهلوع في قلوب المجتمعات الإباحية المشجعة على الرذيلة، وهذا ما جعل المنصفين منهم ينادون بالتمسك بالفضيلة عن طريق الرجوع إلى الدين والأخلاق^(١).

٥ - الهربس التناسلي (*Genital Herpes*)

ويسببه فيروس *Herpes simplrx virus* حيث ينتج عن التهاب فيروسي كامن، فيمكن أن يصاب نفس المريض بالمرض مرات عديدة، فيخبر المرض ويعود للظهور مرة أخرى حيث إن ثلث المصابين يعانون من تكرار الإصابة حوالي ٥ مرات سنوياً^(٢).

٦ - الثولول التناسلي (*Genital Warts*)

وعلامات هذا المرض وجود ثآليل حمراء تغطي منطقة الأعضاء الجنسية في المصاب، ويسببه فيروس يسمى بابيلوما *Papilloma virus*^(٣).

٧ - الالتهابات الفطرية (*Moniliasis*)

ينتج عن التهاب ثانوي تسببه فطريات (مونيليا)، وتبلغ نسبة المراجعين للعلاج منه في بريطانيا وحدها (٩,٨%) عام ١٩٨٦^(٤).

(١) محمد نعيم ياسين، الوجيز في الفقه الجنائي الإسلامي، ص ٨٣-٨٤. بتصرف.

(٢) غازي عبد اللطيف، الأمراض التناسلية، ص ٦١.

(٣) القضاة، الأمراض الجنسية عقوبة إلهية، ص ٩١.

(٤) غازي عبد اللطيف، الأمراض التناسلية، ص ٧٢-٧٣.

٨ - الدوبيات المشعريّة (*Trichomona vaginalis*)

ينتج عن التهاب يسببه نوع من الأوليات التي تصيب المهبل والقضيب ومعدل الإصابة السنوية في الولايات المتحدة (٣) ملايين حالة^(١).

٩ - مرض التهاب الحوض (*Pelvic Inflammatory Disease*)

ويتسبب عن الانتقال الجنسي لميكروبي *Neisseria gonorrhea* و *chlamydia* يصيب صغار السن من النساء بسبب الإباحية الجنسية المفرطة^(٢).

١٠ - النمو المغبني الالتهابي (*Lymphogranuloma Inguinale*)

وهو مرض تناسلي حاد ومزمن، تسببه جرثومة كلاميديا (*Chlamydia*) يظهر على شكل بثرات أو حويصلات صديدية تتحول إلى قروح^(٣).

١١ - التهاب مجرى البول الأمامي (غير معين السبب) (*Non Specific Urethritis*)

تسببه أنواع مختلفة من الجراثيم، وبلغ عدد الإصابات به في عام ١٩٧٢ م ٥٠ ألف مريض في بريطانيا وحدها^(٤).

١٢ - الورم الحبيبي الإربي (*Granuloma inguinale*)

عبارة عن بقع حمراء متورمة تظهر على الأعضاء الجنسية الخارجية للجنسين ويتبعها تلف الأنسجة وتقرحات مؤلمة جداً^(٥).

(١) المرجع السابق، ص ٧٦.

(٢) المرجع السابق، ص ٧٩.

(٣) المرجع السابق، ص ٨٤-٨٥.

(٤) القضاء، الأمراض الجنسية عقوبة إلهية، ص ٦٩.

(٥) المرجع السابق، ص ٦٧-٦٨.

١٣ - التهاب الناتج عن فيروس (خلوية عرطل) *Cytomegalo Virus*

ينتج عن الإصابة بالتهاب فيروسي يبقى كامناً في خلايا جسم المصاب مدى الحياة، لتعود الأعراض إلى الظهور كلما حدث نقص في مناعة الجسم^(١).

١٤ - التهاب الكبد الفيروسي (أ) *Hepatitis (A)*

ويتسبب عن فيروس *RNA* وحيد الخيط، وينتقل من الغائط إلى الفم بالتلوث.

١٥ - التهاب الكبد الفيروسي (ب) *Hepatitis (B)*

ويتسبب عن فيروس *DNA* ثنائي الخيط، وينتقل عن طريق الدم أو المني.

١٦ - التهاب الكبد الفيروسي (ج) *Hepatitis (C)*

وهو مرض فيروسي كامن تظهر مرضيته أشد ما يكون في الأشخاص من ضعيفي المناعة.

١٧ - التهاب الأمعاء المتمور (الزحار الأميبي) *Amoebiasis*

وهو متسبب عن كائن أولي هو *Entamoeba histolytica* ينتقل عن طريق الفم من الطعام والشراب الملوث بالغائط المحتوي على الطور الكيسي للطفيل.

١٨ - حمى التيفوئيد (*Typhoid Fever*)

وتسببه بكتيريا *Salmonella typhi* التي تنتقل من الغائط.

١٩ - الجرب (*Scabies*)

وهو متسبب عن كائن مفصلي هو الحلم (*Mite*) واسمه العلمي *Sarcoptes scabiei*.

(١) غازي عبد اللطيف، الأمراض التناسلية، ص ٩٥.

٢٠ - التقلع العاني (Pediculosis)^(١)

ويسببه قمل العانة *Pediculis pubis* وأنواع أخرى من قمل الجسم والرأس.

وهذه الأمراض الجنسية وغيرها ما هي إلا غيض من فيض جارف من الأمراض التي لا وقاية منها إلا في الابتعاد عن مسبباتها من الفواحش والاستقامة على منهج الله.

ومن العبرة بمكان أن هذه الأمراض لها مميزات تختص بها عن غيرها، فعادة إذا أصيب الإنسان بمرض جرثومي وشفى تتكون في جسمه مضادات طبيعية ضده، تساعد في شفاؤه وتحميه من الإصابة بنفس المرض مرة أخرى، أما في بعض هذه الأمراض فالأمر مختلف، إذ لا يحرك الجسم المصاب ساكناً يساعده على الشفاء أو يحميه من معاودة الإصابة، فهو محروم من مثل هذه المضادات الطبيعية، كما لم يستطع الطب تحضير مطاعيم وأمصال واقية منها^(٢).

أما أضرار هذه الأمراض على النسل فحدث ولا حرج من إحداثها للإجهاض المتكرر، وموت الجنين في البطن، وإذا ولد فيولد مصاباً بنفس الأمراض أو مشوهاً أو معاقاً^(٣).

ومن مميزات مختلف مسببات هذه الأمراض أنها وقائية بحيث يمكن تفادي الإصابة بها من خلال حياة جنسية سليمة بين الرجل والمرأة عن طريق الزواج الشرعي والحياة الأسرية السليمة التي شرعها الله، كما تكلف هذه الأمراض الدول التي تنتشر بها الإباحية مبالغ باهظة جداً لمعالجتها.

(١) لتفاصيل هذه الأمراض أنظر: المرجع السابق، ص (١٠٠-١١٤).

(٢) أنظر: القضاء، الأمراض الجنسية عقوبة إلهية، ص (١١٣-١٣٦) فقد عدد عشرين صفة تختص بها الأمراض الجنسية مما يجعلها عقوبات إلهية قاسية.

(٣) أنظر المرجع السابق، ص (١٢٠-١٢٢). محمد وصفي، القرآن والطب، ص ١١١.
؛ جلبي، الطب محراب الإيمان، ج ٢، ص ١٧٣.

ثانياً: أمراض الزنا النفسية:

والزنا يحدث في مقترفيه أمراضاً نفسية شاذة وعللاً جنسية مهلكة، وذلك لتأثير هذه الجريمة على المجموعة العصبية، ولانحراف المراكز العليا عن وظيفتها الطبيعية حتى يغدو المرء بممارسة هذه العادة إنساناً غير طبيعي، ويغدو من الناحية الجنسية عللاً شاذاً، ومن أمثال هذه الأمراض الجنسية النفسية التي تحيط بالزنا، وتفقد هم رجولتهم: أمراض العنف واحتمال الأذى، والعشق الخيالي، والنفور الجنسي، وانعكاس الشعور، وتحقير المرأة والاستعراض، وغيرها من العلل الشاذة بل إن الأغرب من ذلك أن الزنا يوقع مرتكبيه في مرض أشد منه خطورة، ألا وهو اللواط، إذ يبلغ الحال بالزاني أن تضطرب أعصابه، ويختل مركز الشعور الجنسي في مخه، ويزداد فساد مزاجه فيصبح لائطاً^(١).

كما يضعف الإحساس لديه، ولا يستطيع المشي في الظلام، فيتطوح في مشيه ويتعثر في سيره، ويتباطأ إدراكه، ويختل فهمه^(٢).

ثالثاً: صلة الزنا بجريمة القتل:

يقود الزنا إلى عدد من المنكرات، منها تلك الصلة الخاصة بالعديد من صور القتل العمد، ومن أهم هذه الصور:

- ١ - القتل دفاعاً عن الشرف، ومثله أن يقدم شخص على قتل من وقع في عرضه باتهامه بالزنا وهو منه بريء، أو قتل من وقع في عرض زوجته أو إحدى قريباته، فيقتله دفاعاً عن شرفه ومنعاً من الاعتداء عليه^(٣).
- ٢ - القتل للغيرة: وهذا له أمثلة متعددة، منها: قتل الزوج لزوجته حين يراها متلبسة بالزنا، ومنها قتل الأب لابنته أو الأخ لأخته في حالة زناها.

(١) محمد وصفي، القرآن والطب، ص ١٠٩.

(٢) جلبي، الطب محراب الإيمان، ج ٢، ص ١٧٢-١٧٣.

(٣) انظر: دوكوري، التدابير الواقية من القتل، ص ١٣٧.

(والقتل للغيرة يشكل أهم دوافع القتل اليوم، بل إن بعض الدراسات الأمنية تذكر أن القتل للغيرة معمول به في بعض أنحاء العالم ومقبول اجتماعياً، ففي بعض مقاطعات ألبانيا يوضع عيار ناري في حجاب العروس ليلة الزفاف وعند مغادرتها بيت أبيها، على أن تسلمه لزوجها حين وصولها إلى بيت زوجها، ليستعمله الزوج في قتل زوجته في حالة خيانتها له)^(١).

ويعد القتل للغيرة ودفاعاً عن الشرف أهم دوافع القتل في بعض البلدان، فالإحصاءات الجنائية تدل على أن ذلك يعد أهم دافع وراء عديد من حالات القتل العمد في الأردن، حيث يشكل لوحده نسبة ٣٣,٥٪ من مجموع دوافع القتل فيها^(٢).

٣ - ومن صور القتل التي يعتبر الزنا سبباً فيها أيضاً الإجهاض وقتل المواليد لإخفاء آثار الحمل غير الشرعي، وتلافي العار الناتج عنه، ومن هنا شدد الإسلام في تحريم الزنا لتطهير البيئة الإسلامية من هذا الداء الفتاك، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا، وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾^(٣).

ويلاحظ في هذه الآية الكريمة تقديم النهي عن الزنا على النهي عن القتل، ويقول الإمام الرازي في بيان الحكمة من ذلك: (لقائل أن يقول: إن أكبر الكبائر بعد الكفر بالله القتل، فما السبب في أن الله تعالى بدأ أولاً بذكر النهي عن الزنا وثانياً بذكر النهي عن القتل؟ وجوابه: إن فتح باب الزنا يمنع من دخول الإنسان في الوجود، ودخوله في الوجود يقدم على إبطاله وإعدامه بعد وجوده، فلهذا السبب ذكر الله الزنا أولاً ثم ذكر القتل ثانياً)^(٤).

(١) عبد الله معاوية، الدافع إلى ارتكاب جريمة القتل، ص ٣٩.

(٢) المرجع السابق، ص ١١٩.

(٣) سورة الإسراء، الآيات ٣٢-٣٣.

(٤) الرازي، التفسير الكبير، ج ٢، ص ١٩٩.

وفي آية أخرى توسط النهي عن الزنا بين النهي عن قتل الأولاد والنهي عن قتل النفس، في قوله تعالى: «وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ»^(١).

(وتوسط النهي باعتبار أنها مع كونها في نفسها جناية عظيمة في حكم قتل الأولاد، فإن أولاد الزنا في حكم الأموات)^(٢). ويقول سيد قطب في بيان الصلة بين الزنا وقتل الأولاد: (وبين قتل الأولاد والزنا صلة ومناسبة، وقد توسط النهي عن الزنا بين النهي عن قتل الأولاد والنهي عن قتل النفس لذات الصلة وذات المناسبة، إن في الزنا قتلاً من نواحي شتى، إنه قتل ابتداءً لأنه إراقة لمادة الحياة في غير موضعها، يتبعه غالباً الرغبة في التخلص من آثاره بقتل الجنين قبل أن يتخلق، أو بعد أن يتخلق، قبل مولده أو بعد مولده، فإذا ترك الجنين للحياة، ترك في الغالب حياة شريفة مهينة، فهي حياة مضیعة على نحو من الأنحاء.. هو قتل في صورة أخرى، قتل للجماعة التي يفشو فيها، فتضيع الأنساب، وتختلط الدماء، وتذهب الثقة في العرض والولد، وتتحلل الجماعة، وتتفكك روابطها، فتنتهي إلى ما يشبه الموت بين الجماعات، وهو قتل للجماعة من جانب آخر، إذ أن سهولة قضاء الشهوة من طريقه يجعل الحياة الزوجية نافلة لا ضرورة لها، وتجعل الأسرة تبعة لا داعي إليها، والأسرة هي المحضن الصالح للفراخ الناشئة، لا تصح فطرتها ولا تسلم تربيتها إلا فيه)^(٣).

والإجهاض منتشر جداً عند غير المسلمين حيث تذكر الإحصائيات الرسمية أرقاماً كبيرة عن حالات الإجهاض المتعمد التي تجري سنوياً، فقد بلغت حالات الإجهاض في العام ١٩٧٤م أكثر من ١٣ مليون إجهاض في البلدان النامية وحدها، ناهيك عن البلدان الصناعية الكبرى التي تبيح الإجهاض من الزنا ولا تعدده جناية، وارتفع هذا الرقم خلال عقد واحد من الزمان (١٩٧٤م-١٩٨٤م) إلى أكثر من ٥٠ مليون إجهاض سنوياً، ثم ارتفع ارتفاعاً حاداً في أواخر القرن العشرين الميلادي

(١) سورة الأنعام، الآية ١٥١.

(٢) أبو السعود، تفسير أبي السعود ج ٢، ص ٣٠٣.

(٣) قطب سيد، في ظلال القرآن، ج ٥، ص ٣٢١.

فتجاوز ٧٠ مليون إجهاض سنوياً، وبما أن الإجهاض غير القانوني يجري عادة على أيدي نساء غير مؤهلات أو جاهلات، وتستخدم فيه وسائل بدائية أو مواد سامة، فإنه كثيراً ما يؤدي إلى مضاعفات خطيرة جداً، إذ يموت من جراء الإجهاض أكثر من ٢ مليون امرأة سنوياً وتصاب ملايين أخرى لا تحصى بأمراض وعاهات مختلفة من جملتها العقم الدائم^(١).

أما في البلاد الإسلامية فحالات الإجهاض نادرة الحدوث، وذلك للتربية الإسلامية المانعة لمسبباته، حيث أن أهم أسبابه وهو الزنا حرام ومنهي عنه ومعاقب عليه دنيا وأخرى، وإذا ما وقع ونتج عنه حمل فإجهاضه حرام أيضاً ويعد جريمة لأن الجنين لا جريرة له.

وعند ما جاء الإسلام لم يكن الإجهاض المتعمد شائعاً في المجتمع كما هو شائع اليوم، بل كانت عندهم في أيام الجاهلية عادة قتل الأولاد الصغار بعد ولادتهم، وهو ما يعرف باسم (الوَاد) فكانوا يئدون أولادهم للتخفف من نفقاتهم، وخشية الفقر، أما البنات فكانوا يئدونهن خوفاً من السبي والفضيحة، وقد جاء ذكر الوَاد في عدة آيات، منها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ، بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ؟﴾^(٢)، وقد حرم الإسلام هذه العادة الجاهلية وعنف فاعليها واعتبر قتل الأولاد من الكبائر، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾^(٣)، وقد سئل النبي -صلى الله عليه وسلم-: «لَا أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟» قال: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نَدًا وَهُوَ خَلْقَكَ. قُلْتَ: ثُمَّ أَيُّ؟» قال: «أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ»^(٤) وهكذا اختفت عادة الوَاد من المجتمع الإسلامي الأول، ولئن عاد الوَاد في صورة الإجهاض في عصرنا الحاضر، فإن الإسلام يحرمه ويحاربه بلا شك، حفظاً لحياة الجنين ووقاية لصحة الأم.

(١) منظمة الصحة العالمية، مجلة الصحة العالمية، ص ١٥ نيسان، ١٩٩٠م نقلًا عن: أحمد كنعان،

الموسوعة الطبية الفقهية، ص ٤٣.

(٢) سورة التكوين، آية ٨-٩.

(٣) سورة الإسراء، آية ٣١.

(٤) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله فلا تجعلوا لله أنداداً ج ٦، ص ٢٧٣٤، رقم ١٧٠٨٢.

صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب كون الشرك أقيح الذنوب وبيان أعظمها بعده، ج ١، ص ٩٠، رقم

المطلب الثاني: المؤيدات التربوية للوقاية من الزنا:

لم تكن الشريعة الإسلامية لتحرم جريمة الزنا وتترك الحبل على الغارب، بل سدت كل السبل الموصلة إلى هذه الفاحشة، وأغلقت كل الأبواب المؤدية إليها وهي بذلك ترسي قاعدة تربوية عظيمة في الوقاية الصحية، تقي الإنسان من الصراع النفسي وعذاب مجاهدة النفس الأمارة بالسوء ومنازعتها للشهوات.

(ولأن هذه الفواحش ذات إغراء وجاذبية كان التعبير (ولا تقربوا) للنهي عن مجرد الاقتراب سدا للذرائع، وانتقاء للجاذبية التي تضعف معها الإرادة، لذلك حرمت النظرة الثانية.. ولذلك كان التبرج حتى بالتعطر في الطريق - حراماً، وكانت الحركات، والضحكات، والإشارات المثيرة، ممنوعة في الحياة الإسلامية النظيفة، فهذا الدين لا يريد أن يعرض الناس للفتنة ثم يكلف أعصابهم عناءاً في المقاومة، فهو دين وقاية قبل أن يقيم الحدود، ويوقع العقوبات، وهو دين حماية للضمائر والمشاعر والحواس والجوارح وربك أعلم بمن خلق وهو اللطيف الخبير)^(١).

وإليك هذه السبل التي أوصدتها والإجراءات التي اتخذتها وربت الفرد والمجتمع عليها قبل أن تحرم الزنا:

أولاً: غُضُّ البصر

لما كان النظر من أعظم السبل الموصلة إلى هذه الفاحشة، وكانت النظرة سهماً مسموماً يفتك بالقلوب، ويجر إلى الزنا جراً، جاء الأمر في الشريعة الإسلامية بغض البصر ومنعه من الاسترسال.

يقول الله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ، وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾^(٢).

ويدخل في ذلك النظر إلى صور النساء في المجلات، والتلفزيون والفيديو وشبكات الإنترنت وما به من مواقع إباحية مفسدة، تنشر الرذيلة وتروج للدعارة

(١) قطب سيد، في ظلال القرآن، ج ٣، ص ١٢٣١.

(٢) سورة النور، الآيات ٣٠-٣١.

والبغاء، فلينتبه الآباء الذين يسلمون أولادهم لهذه الأجهزة بدون رقابة تضمن وقايتهم من هذا الشر الوبيل.

ثانياً: الحجاب وإخفاء الزينة

ومن التربية الوقائية، أن دعا الإسلام النساء لإخفاء الزينة بالحجاب، للحفاظ على جسدهن وجمالهن حماية لهن، ودرءاً للفتنة والفاحشة قال تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾^(١).

وقال مخاطباً نبيه الكريم -صلى الله عليه وسلم-: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(٢).

وحذر من التبرج مخاطباً النسوة بقوله: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾^(٣).

وأرشد الرجال إلى مخاطبة النسوة من وراء حجاب فقال: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾^(٤).

ثالثاً: منع الخلوة بالنساء:

يقول -صلى الله عليه وسلم-: ﴿لَا يَخْلُونَ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ﴾^(٥).

(١) سورة النور، الآية ٣١.

(٢) سورة الأحزاب، الآية ٥٩.

(٣) سورة الأحزاب، الآية ٣٣.

(٤) سورة الأحزاب، الآية ٥٣.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من اكتب في جيش فخرجت امرأته حاجة ج ٣، ص ١٠٩٤، رقم ٢٨٤٤؛ صحيح مسلم، كتاب الحج، باب سفر المرأة، ج ٢، ص ٩٧٨، رقم ١٣٤١.

رابعاً: ترك التطيب للمرأة إذا أرادت الخروج

يقول -صلى الله عليه وسلم-: ﴿لَأَيُّمَا امْرَأَةٍ أَصَابَتْ بِخُورٍ فَلَا تَشْهَدْ مَعَنَا الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ﴾^(١)، ويقول -صلى الله عليه وسلم-: ﴿مَنْ خَرَجَتْ لِتَشْمَ رِيحَهَا فَهِيَ زَانِيَةٌ﴾^(٢).

خامساً: النهي عن مصافحة النساء الأجنبية

لقوله -صلى الله عليه وسلم-: ﴿لَأَنْ يَطْعَنَ فِي رَأْسِ أَحَدِكُمْ بِمَخِيطٍ مِنْ حَدِيدٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمَسَّ امْرَأَةً لَا تَحِلُّ لَهُ﴾^(٣).

سادساً: النهي عن سفر المرأة بلا محرم

إذ يقول -صلى الله عليه وسلم-: ﴿لَا يَحِلُّ لَامْرَأَةٍ تَوَافِقُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ تَسَافِرَ مَسِيرَةَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ لَيْسَ مَعَهَا مُحَرَّمٌ﴾^(٤).

سابعاً: عدم الخضوع بالقول

يقول سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾^(٥).

ثامناً: تحريم امتناع المرأة عن فراش زوجها:

يقول -صلى الله عليه وسلم-: ﴿إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَأَبَتْ أَنْ تَجِيءَ لَعْنَتُهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تَصْبِحَ﴾^(٦).

(١) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب خروج النساء إلى المساجد، ج ١، ص ٣٢٨، رقم ٤٤٤.

(٢) مسند أحمد، ج ٤، ص ٤١٣، رقم ١٩٧٢٦.

؛ صحيح ابن حبان، ج ١٠، ص ٢٧٠، رقم ٤٤٢٤.

(٣) الطبراني، المعجم الكبير، ج ٢٠، ص ٢١١، رقم ٤٨٦، قال المنذري: ورجال الطبراني ثقات رجال الصحيح (الترغيب والترهيب، ج ٣، ص ٢٦).

(٤) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب سفر المرأة مع محرم، ج ٢، ص ٩٧٧، رقم ١٣٣٩.

(٥) سورة الأحزاب، آية ٣٢.

(٦) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها، ج ٥، ص ١١٩٣، رقم ٤٨٩٧.

تاسعاً: التفريق بين الأولاد في المضاجع

لقوله -صلى الله عليه وسلم- مخاطباً الآباء: ﴿أَمَرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ سِنِينَ، وَفَرَّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ﴾^(١).

عاشراً: النهي عن عضل النساء:

والعلاقة السببية بين عضل النساء والزنا معروفة، إذ أن من الضروري لتجنب الفساد أن يتيح المجتمع للمرأة إشباعاً جنسياً مشروعاً، والعضل يحرمها من هذا الحق ويعرضها للزلل والفساد^(٢).

وقد جاءت مجموعة من النصوص في القرآن الكريم تنهى عن العضل منها:

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنِ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾^(٣). ويقول تعالى: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْنَهُنَّ﴾^(٤)، ويقول: ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتُعْتَدُوا﴾^(٥) ويقول أيضاً: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٦)، فالإسلام لا يرضى (ببقاء الرجال والنساء بدون نكاح في المجتمع، وأمر من كان فيه من الرجال والنساء، بل ومن العبيد والإماء، أن ينكحوا ويُنكحوا، لأن بقاء أحد بدون نكاح مولد للفحشاء ومنفعل بها معاً، وأقل ما يكون من مثل هؤلاء الأفراد الذين لا أزواج لهم أنهم لا يتمالكون أنفسهم من تحسس الأخبار الفاحشة والتلذذ بنقلها في المجتمع)^(٧).

(١) سنن ابن داود، كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، ج ١، ص ١٣٣، رقم ٤٩٥، قال الشيخ

الألباني: حسن صحيح، (الألباني، صحيح سنن أبي داود، ج ١، ص ٩٧).

(٢) أحمد عبد الرحمن، التدابير الوقائية في الإسلام، ص ٤٥.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٣٢.

(٤) سورة النساء، الآية ١٩.

(٥) سورة البقرة، الآية ٢٣١.

(٦) سورة النور، الآية ٣٣.

(٧) المودودي، تفسير سورة النور، ص ٢٧.

وعلى هذا الأساس: (اجمع المسلمون على أن العضل كبيرة)^(١).

وينبغي أن يصاغ هذا التدبير الوقائي على هيئة مادة قانونية ملزمة لتعمل بها المحاكم الشرعية، وذلك بتحديد سن معين لبلوغ المرأة، ويمنع أولياؤها من عضلها متى تقدم إلى خطبتها الكفاء الذي ترضى به.

ولا ينبغي الاستهانة بأثر العضل، إذ أنه بدأ يذيع ويتفشى ويوشك أن يغدو ظاهرة اجتماعية بسبب عمل المرأة وما يفضي إليه من مطامع أولياء الأمور في راتبها^(٢).

الحادي عشر: الصوم عند عدم القدرة على الزواج:

فقد يعجز الشاب عن الزواج لعدم امتلاكه لمقوماته، وقد يحول بين الفتاة والزواج حوائل كثيرة، كأن يكون فيها ما يشوه الخلقة أو يتعسف ولي أمرها في ممارسة حق تزويجها، فماذا يصنع هؤلاء؟ وقد يكونون في شوق عارم للزواج، فمثل هذه الحالات أرسى الإسلام تعاليمه واضعاً التربية الوقائية وذلك بالدلالة على الصوم لإخماد نار الشهوة إلى أن يأت الله بالفرج، حيث يقول -صلى الله عليه وسلم-: «أيا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»^(٣).

والواقع أن من صام أدرك هذا المعنى، حيث تضعف نفسه، وتخمد نار شهوته، وقلمما يفكر بمثل هذه الأمور، إنما ينحصر تفكيره في لقمة الخبز وجرعة الماء، فهو علاج حقاً ما بعده علاج^(٤).

(١) الهيتمي، الزواج، ج ٢، ص ٢٧.

(٢) أحمد عبد الرحمن، التدابير الوقائية في الإسلامية، ص ٤٦.

(٣) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب من استطاع منكم الباءة، ج ٥، ص ١٩٥٠، رقم ٤٧٧٨.

صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح، ج ٢، ص ١٠١٨، رقم ١٤٠٠.

(٤) عبد الله إبراهيم، المسؤولية الجسدية في الإسلام، ص ١١٦.

الثاني عشر: دعوة الشباب للعفة والجزاء عليها:

حتى لا يتحول الشباب وفورته إلى قوة تحطم المجتمع وتتعدى على حقوقه، عني الإسلام بالتربية والتوجيه كإحدى وسائل الوقاية من خطورة المرحلة وضرورتها واندفاعها، وحبب العفة والصبر إلى الشباب، وهياً لهم الجو الاجتماعي الذي يساعدهم على العيش بعفة إلى حين استطاعتهم تحمل أعباء الزواج^(١).

وقد وعد الله سبحانه وتعالى الشباب بعظيم الأجر والمثوبة إن هم صبروا في مواقف الفتنة، حيث يقول -صلى الله عليه وسلم-: «أسبغة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله -وذكر منهم- ورجل دعته امرأة ذات حسب وجمال فقال إني أخاف الله رب العالمين»^(٢).

إن تربية الوازع الديني في الشباب ومراقبة الله عز وجل والخوف منه، إضافة إلى السلوك القويم للوالدين العفيفين، من أهم العوامل المساعدة للتنشئة على العفة وترسيخها في نفوسهم، فهذه الصفة الفاضلة هي التي تدعو الفرد إلى الاتزان في الاستجابة لميوله الجنسية، وتحفظه من السقوط في الانحرافات المهلكة، وعندما تطغى الشهوة وتحاول أن تدفع بالإنسان إلى الاعتداء تقف العفة سداً محكماً في وجهها، يرفدها خوف الله ورجاء ثوابه الذي وعد به.

ومما يدل على عظم فضل العفة ما ساقته السنة النبوية الشريفة من قصص تربوية، ينبغي على المربين أن لا يملوا من تكرارها وتحفظيها للناشئة، جاء فيها أن العفة كانت سبباً للنجاة من هلاك محتم.

فقد توسل أقوام إلى الله سبحانه وتعالى بتعففهم وتركهم لهذه الفاحشة ففرج الله عنهم الكربات.

فها هو أحد هؤلاء الثلاثة أصحاب الغار الذين كانوا في سفر، فأخذهم المطر

(١) الصيدلي عمر محمود، الطب الوقائي في الإسلام، ص ٩١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجماعة، باب فضل المساجد، ج ١، ص ٢٣٤ رقم ٦٢٩.

؛ صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، ج ٢، ص ٧١٥ رقم ١٠٣١.

فأووا إلى غار في جبل، فأنحطت على فم غارهم صخرة من الجبل، فانطبقت عليهم، فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالاً عملتموها صالحة لله فادعوا الله تعالى بها لعل الله يفرجها عنكم.. فذكر الحديث وفيه:

«أوقال الآخر: اللهم إنه كانت لي ابنة عم أحببتها كأشد ما يحب الرجال النساء، وطلبت إليها نفسها، فأبت حتى آتيتها بمائة دينار، فتعبت حتى جمعت مائة دينار، فجئتها بها، فلما وقعت بين رجلها قالت: يا عبد الله! أتق الله، ولا تفتح الخاتم إلا بحقه، فقمتم عنها، فإن كنت تعلم أنني فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فأفرج لنا منها فرجة، ففرج لهم»^(١).

وهذه أيضاً سارة عليها السلام لما أدخلت على الجبار قامت تتوضأ وتصلي، فقالت: «اللهم إن كنت آمنت بك وبرسوك وأحصنت فرجي إلا على زوجي فلا تسلط علي هذا الكافر»^(٢) ففرج الله همها، وأزال كربها.

الثالث عشر: إباحة تعدد الزوجات والطلاق

إن إباحة تعدد الزوجات، وكذلك إباحة الطلاق، كلاهما تدبير وقائي ضد جريمة الزنا، وقد كانت هذه الإباحة موضع نقد من جانب المستشرقين النصارى الذي لم يدركوا الحكمة من ورائهما بسبب ما نشأوا عليه من سنة الزواج بواحدة. والإسلام لم يأمر بتعدد الزوجات، وإنما أباحه على شرط صعب حقاً، وهو العدل. والإسلام عبر عن كراهيته للطلاق، ومع ذلك أباحه كتدبير وقائي ضد كثير من المشكلات الفردية والاجتماعية^(٣). وتحت وطأة هذه المشكلات، أدرك الغرب الأوروبي، أو بدأ يدرك، الفعالية الحقيقية للطلاق في حل تلك المشكلات. أما تعدد الزوجات فقد أخذ شكلاً مهيناً عند غير المسلمين ألا وهو: تعدد العشيقات! لكن

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب إجابة دعاء من بر والديه، ج ٥، ص ٢٢٢٨، رقم ٥٦٢٩.

صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب قصة أصحاب الغار، ج ٤، ص ٢٠٩٩، رقم ٢٧٤٣.

(٢) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب شراء المملوك من الحربي وهبته وعتقه، ج ٢، ص ٧٧٢، رقم

٢١٠٤.

(٣) عبد الكريم عثمان، معالم الثقافة الإسلامية، ص ٢٧٠.

- وهكذا يكون الفاعل عرضه لحلول العقاب الرباني به وبالمجتمع الذي يعيش فيه إذا ما انتشرت هذه الفاحشة كما حصل مع قوم لوط عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ، مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾^(١).
- ج - عمل يسبب نقل الأمراض التناسلية التي سبق ذكرها في أضرار الزنا، بل وبصورة أشد عما هي عليه عند الزناة.
- د - ارتداء عضلات المستقيم أو تمزقها مما يؤدي إلى فقدان السيطرة على عملية التبرز بشكل كامل، ولذلك نجد الفاسقين من هؤلاء دائمي التلوث، حيث قد يخرج البراز من أحدهم بدون إرادته.
- هـ - ضعف مراكز الإنزال الرئيسية، والقضاء على الحيوانات المنوية، مما يؤدي بالتالي إلى عدم القدرة على إيجاد النسل، والإصابة بالعقم.
- و - الشعور بضيق في الصدر أثناء عملية التنفس، مع خفقان في القلب.
- ز - الشذوذ الخلقي، وما ينتج عنه من أمراض نفسية، حيث يشعر المفعول به بأنه قد فقد رجولته، بينما لا يتوانى الفاعل عن السطو على الأطفال.
- ح - عدم ميل الفاعل المعتاد على هذا العمل إلى زوجته مما يؤدي إلى تعطيل أهم وظيفة من وظائف الزواج، وهي إيجاد النسل، وقد يقدم على طلاق زوجته أو إهمالها مما قد يدفعها إلى الانحراف.
- ط - اختلال في توازن عقل المرء، وارتباك عام في تفكيره، وبلاهة واضحة في عقله، وضعف شديد في إرادته، وذلك بسبب قلة إفراز الغدد الدرقية، والغدد فوق الكلوية واضطراب عمل هذه الغدد واختلال وظائفها.
- ي - تعتبر علة شاذة وطريقة غير كافية لإشباع العاطفة الجنسية، نظراً لبعدها في الأصل عن الملامسة الطبيعية، فلا تقوم بإرضاء المجموع العصبي، وتكون شديدة الوطأة على الجهاز العضلي^(٢).

(١) سورة هود، الآية (٨٢-٨٣).

(٢) انظر: غازي عبد اللطيف، الأمراض التناسلية بين الطب والدين، ص ٢٥، ٢٦؛ مجمد وصفي، القرآن والطب، ص (١١٥-١١٨).

المطلب الرابع: تشريعات وقائية للجهاز التناسلي:

هناك تشريعات، شرعها الإسلام للإبقاء على نظافة الجهاز التناسلي وعدم تعريضه لأذى الأوساخ والميكروبات ومضاعفاتها منها:

أولاً: اعتزال الحائض والنفساء

لقد حرم المولى عز وجل إثيان الحائض، لما ينجم عن ذلك من أذى، كما عبر القرآن الكريم عن ذلك في قوله عز وجل: «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ»^(١).

يقول الدكتور حامد الغوابي: (المرأة أثناء الحيض تكون أعضاؤها التناسلية محنقة، وأعصابها مضطربة، وذلك بسبب إفرازات الغدد الداخلية، وعلى هذا فالاختلاط الجنسي يضرها ويهيء لالتهاب المهبل، حيث أن الاختلاط الجنسي من أهم وسائل حمل الميكروبات والبكتيريا إلى داخل المهبل، والوسط المهبل أثناء الحيض وسط صالح لنموها، كما تنمو نتوءات على جدران المهبل، وكذلك فإن الالتهاب المهبل يسبب الالتهاب المخاطي للمثانة، فتشعر المريضة بالحاجة إلى التبول مع قلة ما ينزل منها، إضافة إلى ذلك فإن المرأة تكون أثناء الحيض منحرفة المزاج، وقد تشعر بغيض شديد، تصحبه أعراض هستيرية، تنتهي بالإغماء في بعض الحالات، فكيف تجبر على مثل هذه العملية الضارة)^(٢).

كما أثبتت الدراسات الحديثة أن نوعين من الجراثيم التي توجد في عنق الرحم عند المرأة نوع أثناء الحيض، وآخر أثناء الطهر وهو النوع المفيد، وهو يتكاثر بشدة أثناء الطهارة، بحيث يختفي النوع الضار كما يتكاثر النوع الضار بشدة أثناء الحيض، ويصبح مهدداً بالأمراض لذا فإن إثيان الحائض يجعل الرجل أكثر تعرضاً للوقوع في أمراض من نتائج هذه الجراثيم الخطيرة، والوقاية الصحية التي تحفظ الجهاز التناسلي -في هذه الفترة- تكون بالاعتزال^(٣).

(١) سورة البقرة، الآية ٢٢٢.

(٢) الغوابي، بين الطب والإسلام، ص ٨٢.

(٣) من محاضرة للدكتور مأمون الشفقة بالمركز الثقافي بالشارقة، (صحيفة الاتحاد الأسبوعي، دولة

الإمارات العربية المتحدة، عدد ٧٣٩، للعام ١٩٩٠). نقلاً عن: عبد الله إبراهيم، المسؤولية الجسدية

في الإسلام، ص ١٢٥.

وهكذا يتبين لنا أن معاشرة النساء وقت الحيض ضرر محض، حذر منها القرآن الكريم، كما حذرت منها السنة النبوية الشريفة في قوله -صلى الله عليه وسلم-: «لَمَنْ أَتَى حَائِضاً أَوْ امْرَأَةً فِي دَبْرِهَا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَقَ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ»^(١).

وكما حرمت الشريعة الإسلامية معاشرة الزوجة في الحيض حرمت ذلك في النفاس، وهو الدم النازف عقب الولادة، والحكمة من ذلك أن حالة الرحم، والقناة التناسلية عقب الوضع بمثابة جرح حديث يجب أن يحاط بجميع وسائل الوقاية، خوفاً من تلوثه بالجراثيم وما قد يؤدي إليه هذا التلوث من أمراض أهمها الحمى النفاسية والالتهاب الحاد للبوقين والمبيض^(٢). فتحریم الوطء في هذا الظرف ما هو إلا حفظ للجهاز التناسلي. ومما يجدر ذكره أن عدداً من أنواع الجراثيم التي تعيش في أماكن مختلفة من جسم الإنسان كالجلد والفتحات التناسلية والجهاز الهضمي بشكل طبيعي دون أن تسبب له أية مرض، قد تصبح خطيرة مرضياً إذا انتقلت إلى أماكن أخرى غير أماكنها الطبيعية.

ثانياً: اتقاء الدبر:

إذا كان إتيان المرأة حال الحيض أمراً قبيحاً وصفه المولى عز وجل بأنه أذى، وثبتت حقيقة ذلك علمياً، كما سلف ذكره، فإن إتيان الدبر أكثر أذى من الناحية الصحية، كما أنه شذوذ في الطبع وخروج عن قواعد الفطرة الإنسانية السليمة.

وقد جاء لعن الفاعل في قوله -صلى الله عليه وسلم-: «لَمَلْعُونَ مِنْ أَتَى أَمْرَاتِهِ فِي دَبْرِهَا ﷺ»^(٣)، وفي حديث آخر، قال -صلى الله عليه وسلم-: «لَا يَنْظُرُ

(١) سنن ابن ماجه، كتاب الطهارة، باب النهي عن إتيان الحائض، ج ١، ص ٢٠٩، رقم ٦٣٩، قال

الشيخ الألباني: صحيح، (الألباني، صحيح سنن ابن ماجه، ج ١، ص ١٠٥).

(٢) زكي شعبان، صحة الأم والطفل، ص ٣٢.

(٣) سنن أبي داود، كتاب النكاح، باب في جامع النكاح، ج ٢، ص ٢٤٩، رقم ٢١٦٢، قال الشيخ الألباني:

حسن، (الألباني، صحيح سنن أبي داود، ج ٢، ص ٤٠٦).

الله إلى رجل جامع امرأته في دبرها^(١).

قال ابن القيم: (إن إتيان الدبر ضار بالرجل، حيث للفرج خاصية في اجتذاب الماء المحتقن، وإراحة الرجل منه، والوطء في الدبر لا يعين على اجتذاب جميع الماء، ولا يخرج كل المحتقن، وذلك لمخالفته للأمر الطبيعي)^(٢).

ثالثاً: تحريم مناكحة الزناة:

ومن التشريعات الوقائية لمحاصرة مرض الزنا -الملوث الأكبر للجهاز التناسلي- ما دعا إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرْمٌ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣).

فهذه دعوة صريحة إلى عدم مناكحة الزناة، وهي بهذا تقطع العلاقة بينهم وبين جماعة المسلمين (فهي فعلة تعزل فاعلها عن الجماعة المسلمة وتقطع ما بينه وبينها من روابط، وهذه وحدها عقوبة اجتماعية أليمة كعقوبة الجلد أو أشد وقعا)^(٤).

ويقول الإمام الشعبي: (من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها)^(٥). والمسلم المتأدب بأدب القرآن الكريم، لا يمكن أن يعيش مع زانية لا تفكر تفكيره، ولا يستطيع أن يعاشر امرأة لا تحيي حياته المستقيمة، ولا يستطيع الارتباط برابطة الزواج مع كائنة لا تشعر شعوره، والله تعالى يقول عن الزواج: ﴿خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾^(٦)، فأين المودة والرحمة التي تحصل بين المسلم والزانية؟ وأين نفس الزانية الفاسدة، الشاذة العاطفة، من تلك النفس التي تسكن إليها نفس المؤمن النقي، أم كيف ترضى المسلمة أن تقع في يد

(١) سنن ابن ماجه، كتاب النكاح، باب النهي عن إتيان النساء في أدبارهن، ج ١، ص ٦١٩، رقم ١٩٢٣.

قال الشيخ الألباني: صحيح، (الألباني، صحيح سنن ابن ماجه، ج ١، ص ١٢٤).

(٢) ابن القيم، زاد المعاد ج ٤، ص ٢٦٢.

(٣) سورة النور، الآية ٣.

(٤) قطب سيد، في ظلال القرآن، ج ٦، ص ٥٩.

(٥) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج ٣٢، ص ١٢٠.

(٦) سورة الروم، الآية ٢١.

الزاني وتحت تأثير روحه الدنيئة، وأن تشاركه في تلك النفس السقيمة، وأن تعاشر ذلك الجسم الملوث بشتى الجراثيم، والموبوء بمختلف العلل والأمراض^(١).

المطلب الخامس: تدابير وقائية لحفظ الجنين والطفل

ووضعت الشريعة الإسلامية بعض التدابير الواقية لصحة النسل، فأعطته حرمة وهو جنين في بطن أمه، وجعلت للأُم مرونة في تطبيق بعض الواجبات كالصوم حفظاً لصحتها، وأرشدت إلى الإرضاع الطبيعي، ونوضح ذلك فيما يلي:

أولاً: حرمة الجنين:

وضعت الشريعة الإسلامية حرمة للجنين البشري في جميع أطواره، وشرعت عقوبات على من يجني عليه، سواء أكان الجاني أجنبياً أو أمه التي تحمله وسواء كان ذلك بضرب، أو تخويف أو علاج، أو أية وسيلة أخرى.

قال ابن رشد: (فأما الأجنة فإنهم اتفقوا على أن الواجب في جنين الحرة وجنين الأمة من سيدها هو غرة، لما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة وغيره، أن امرأتين من هذيل، رمت إحداهما الأخرى فطرحتا جنينها، ففضى فيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بغرة عبد أو وليدة)^(٢).

ثانياً: تأجيل إقامة الحد على أمه:

وحرصاً على حياة الجنين، فقد أرجأ الإسلام إقامة الحد على أمه، إذا ثبت في حقها، فقد ورد في حديث المرأة الغامدية التي اعترفت بالزنا، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال لها: «لا نرجمك حتى تضعي ما في بطنك» وكفلها رجل من الأنصار حتى وضعت، فأتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: وضعت الغامدية فقال: «إذا لا نرجمها وندها ولدها صغيراً ليس من يرضعه»، فقام رجل من الأنصار فقال: إلي إرضاعه يا نبي الله فرجمها. وفي رواية: قال لها: «أذهبي

(١) محمد وصفي، القرآن الطب، ص (١١٠-١١٢).

(٢) ابن رشد، بداية المجتهد، ج ٢، ص ٤١٥.

فأرضعیه حتی تفطمیه^(١) فلما فطمته، أنته بالصبي في يده كسرة خبز^(٢). قال المرغيناني: (وإذا زنت الحامل لم تحد حتى تضع حملها كيلا يؤدي إلى إهلاك وليدها، وهو نفس محترمة، وإذا كان حد الجلد، لم تجلد حتى نتعافى من نفاسها)^(٣).

ثالثاً: الرخصة في إفطار الحامل والمرضع:

أباح الإسلام للحامل والمرضع الإفطار في رمضان، حرصاً على حياة الطفل، فإن خافتا عليه وجب عليهما ذلك -الإفطار- قال الشربيني: (وأما الحامل والمرضع فيجوز لهما الإفطار إذا خافتا على أنفسهما، أو على الوليد، سواء كان الولد ولد المرضعة أم لا، وسواء كانت مستأجرة أم لا، ويجب عليها الإفطار إن خافتا هلاك الولد)^(٤).

وما ذلك إلا محافظة على صحة الأم والجنين أو الطفل خاصة والمرحلة مرحلة بناء ونمو للطفل، فأية تربية بلغت هذا الحد من الحرص والحماية؟!

رابعاً: تحريم الخمر وسيلة لحماية الجنين:

كما أن لتحريم الخمر أهدافاً وقائية لصحة النسل وحفظه من كثير من الأمراض والتشوهات.

يقول الشطي: (إن زواج مدمني الخمر قضية خطيرة لأن الزوج المولع بالشرب زوج غير صالح، وپرث نسله منه بنية مرضية خاصة تعرف بالثرات الغولي، ويقصد به، ما يحمله نسل المخمورين من ضعف جسدي ونفساني، وقد ثبت أن الأم الحامل تنقل أضرار الخمر عبر مشيمتها إلى الجنين فتبلييه، وأنه ينساب بالرضاعة إلى الوليد)^(٥).

إن قدرة الخمر على إحداث تشوهات في الأجنة باتت مؤكدة، فحين يستقلب الخمر في الكبد تنتج عنه مادة أسيت الدهيد وهي مادة مشوهة للصبيغيات تؤدي إلى

(١) صحيح مسلم، كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنا، ج ٣، ص ١٣٢١، رقم ١٦٩٥.

(٢) المرغيناني، الهداية، ج ٢، ص ٩٩.

(٣) الشربيني، مغني المحتاج، ج ١، ص ٤٤٠.

(٤) الشطي أحمد شوكت، نظرات في المسكرات، ص ٢٦.

تشوه خلقي في الجنين ولها دور في إحداث السرطانات^(١).

وهذا ما يؤكد الباحث الأمريكي جلوبز: من أن الخمر يعتبر من أكثر المواد المسببة لتشوه الأجنة انتشاراً حيث يؤثر على ١-٢٪ من الحوامل في أمريكا حسب إحصائية عام (١٩٥٠م)، وأن تعاطي المرأة للخمر أثناء حملها يمكن أن يؤدي إلى ما يسمى بتناذر الجنين الغولي، ورغم أن الكمية من الخمر المؤدية لحصول هذا التناذر غير معروفة، إلا أنه من المؤكد أنه كلما ازدادت كمية الخمر المتعاطى، كلما ازداد خطر الإصابة بهذا المرض، وإلى حصول تشوهات خلقية أشد^(٢).

خامساً: الرضاع حق مأمور به للطفل:

حدد المولى عز وجل فترة الرضاع بسنتين بقوله: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾^(٣).

قال القرطبي: (يرضعن خبر معناه الأمر، على الوجوب لبعض إوالدات، وعلى جهة الذنب لبعضهن..)^(٤).

إن لبن الأم بالإضافة إلى احتوائه على جميع المواد الغذائية اللازمة للطفل، وبنسبة تلائم حاجة الطفل وأجهزته، فهو غذاء معقم تعقيماً إلهياً، وبدرجة حرارة مناسبة، وبذلك تكون الرضاعة الطبيعية هي أفضل وقاية من أمراض التلوث حيث تتعدم فيه احتمالات التلوث تماماً، كما يكسب الطفل الرضيع مناعة إلى أن يقوي جهازه المناعي إلى الحد الذي يستطيع به جسمه تكوين خلايا وأجسام مضادة تحميه من الإصابة بالأمراض^(٥).

(١) الذفر، روائع الطب الإسلامي، ج ٣، ص ٨١.

(٢) اليار، الجنين المشوه والأمراض الوراثية، ص ١٢١-١٢٢.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٣٣.

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٣، ص ١٦١.

(٥) انظر: على أحمد الشحات، مقال عن الرضاعة، مجلة منار الإسلام، ص ٣٥، العدد (٥) عام

لهذا كله أكد الإسلام على حق الطفل في الرضاعة الطبيعية كما جاء في الآية السابقة، يقول صاحب تفسير المنار: (جاء الأمر الإلهي بإرضاع الأمهات أولادهن على مقتضى الفطرة، فأفضل اللبن للولد لبن أمه باتفاق الأطباء، أي لكونه قد تكون من دمها في أحشائها، فلما برز للوجود تحول اللبن الذي كان يتغذى منه في الرحم إلى لبن يتغذى منه خارجه، فهو اللبن الذي يلئمه ويناسبه، وقد قضت الحكمة أن تكون حالة لبن الأم في التغذية ملائمة لحال الطفل بحسب درجات سنه، ولذلك كان مما ينبغي أن يراعى في الظئر^(١) أن يكون سن ولدها كسن الطفل الذي تتخذ مرضعاً له^(٢)).

كما قرر فريق من الباحثين في طب الأطفال أخيراً أن لبن الأم يتغير من شهر إلى آخر، ويتغير أيضاً في الليل والنهار بل في الرضعة الواحدة مواكباً احتياجات الرضيع ايجابياً^(٣).

وهكذا يتبين لنا أن لبن الأم هو الغذاء الذي لا يوازيه غذاء، ولكن إذا تعذر حصول الوليد على لبن الأم، لموت أو لمرض أو لفرقة بينها وبين الزوج، فلا بد حينئذ من توفير مرضعة له، وقد أرشدت الشريعة الإسلامية إلى ذلك بقول تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَاسَرْتُم فَاسْتَرْضِعْ لَهُ أُخْرَى﴾^(٤).

لأن المرضعة تتوب عن الأم إلى حد ما، ولكن تبقى مسؤولية الوالدين أو أحدهما في حسن اختيار المرضعة، قال صاحب المنار: (إن لبن المرضع يؤثر في جسم الطفل، وفي أخلاقه وسجاياه، ولذلك يحتاط في انتقاء المراضع، ويجتنب استرضاع المريضة، والفاسدة الأخلاق والآداب..، ثم يقول: اللبن يخرج من دم

(١) الظئر: بكسر الظاء وتسكين الهمز، المرضعة لغير ولدها (لسان العرب ج ٤، ص ٥١٤).

(٢) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج ٢، ص ٤١٦.

(٣) عبد المنعم عبد القادر الميلادي، مقال بعنوان: (وفصاله في عامين) مجلة منار الإسلام، ص ١٢، العدد (١١) عام ١٤٠٤هـ.

(٤) سورة الطلاق: الآية ٦.

المرضع، ويمتصه الولد فيكون دماً له، ينمو به اللحم وينشز به العظم، فهو يشرب منها كل شيء، من حسن وقبيح، وقد لوحظ أن من يرضع من لبن الأتان، يغلظ قلبه، وكذلك لبن كل حيوان يؤثر على حسب حاله، ولكن حياة الإنسان نفسية وعقلية، أكثر مما هي بدنية، فجسمه مسخر لشعوره وعقله، لذلك كان تأثير الانفعالات والصفات النفسية مع المرضع في الرضيع أشد من تأثير الصفات البدنية، وقد لاحظنا صوت المرضع وقد ظهر في الولد الذي كانت ترضعه، فكيف بآثار عقلها وشعورها وملكاتنا النفسية؟ وقد نبه الفقهاء على هذا المعنى، وحكاية إمام الحرمين فيه معروفة^(١).

(١) محمد رشيد رضا، تفسر المنار، ج ٢، ص ٤١٦-٤١٧.
أما عن حكاية إمام الحرمين، فقد ذكر المؤرخون أن أبا محمد (الجويني) والد إمام الحرمين الشهير واسمه (عبد الملك) كان ينسخ بالأجرة، فاجتمع له من كسب يده شيء اشترى به جارية، موصوفة بالخير والصلاح وكان يطعمها منه إلى أن حملت بإمام الحرمين، وهو مستمر على تربيتها الحسنة وتغذيتها بالحلال، فلما وضعت أوصاها ألا تمكن أحداً من إرضاعه، فاتفق أن دخل عليها يوماً وهي متألمة، والصغير يبكي، وقد أخذته امرأة من جيرانهم وشاغلته بتدبيرها، فوضع منها قليلاً، فلما رأى ذلك شق عليه وأخذة إليه ونكس رأسه، ومسح على بطنه، وأدخل أصبعه في فمه، ولم يزل حتى قاء ما شربه وهو يقول: (يسهل علي أن يموت ولا يفسد طبعه يشرب لبن غير أمه!).
ويحكى عن إمام الحرمين أنه كان يلحقه بعض الأحيان فترة في مجلس المناظرة فيقول: (هذا من بقايا تلك الرضعة!). (ابن خلكان، وفيات الأعيان ج ٣، ص ٣٤٢-٣٤٣).

المبحث الثاني: التجربة الوقائية الصحية لحفظ المال

حفظ المال وعدم الاعتداء عليه هو من الضرورات الخمس التي جاء الإسلام للمحافظة عليها، فالمال قوام الحياة وقرين الروح يقول تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾^(١).

ومن ثم فإن الاعتداء عليه يورث العداوة والبغضاء ويجر بالتالي إلى الجرائم من قتل النفس والاعتداء على أمن المجتمع، كما أن سلبه يؤدي إلى الحرمان والجوع والخوف والمرض، لذا أوجب سبحانه تداوله عن طريقة التراضي وسبل الكسب المشروعة، وحرم كل سبيل للاعتداء والظلم، وشرع عقوبات رادعة في الدنيا كقطع يد السارق، وهدد بشن حرب على آكل الربا، وتوعد آكل مال اليتيم^(٢).

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾^(٣).

ويقول أيضاً: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٤).

ولتوضيح العلاقة بين وقاية الصحة ومقصد الشارع من حفظ المال سنتحدث في النقاط التالية:

المطلب الأول: تحريم الربا:

حرم الإسلام الربا تحريماً قاطعاً، وأعلن الشارع الحكيم الحرب على آكله بما لم يتوعد به ككبره أخرى حيث يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾^(٥).

(١) سورة النساء، الآية ٥.

(٢) الذقر، روائع الطب الإسلامي، ج ٣، ص ١٨٣.

(٣) سورة النساء، الآية ٢٩.

(٤) سورة البقرة، الآية ١٨٨.

(٥) سورة البقرة، الآية ٢٧٨.

والحرب تشمل كل ما يتصور من نزول البلايا والأسقام والمهالك على مرتكبيه، وقد مثل سبحانه وتعالى الذين يأخذون الربا بالذين تتخبطهم الشياطين من المس، تعبيراً عما هم فيه من الاضطراب والقلق، فتراهم كالذين تمسهم الجن وتصرعهم، يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾^(١) وهذه صورة في غاية القبح والبشاعة، ودليل على ما يحدثه النظام الرأسمالي الربوي في العالم اليوم من هزات وقلق وخوف، وما تؤدي إليه من أمراض عصبية ونفسية وجسدية^(٢).

وعن أضرار الربا الصحية يقول الغواي: (إن الدين هم بالليل ومذلة بالنهار، فالمدن تله الأحران في كل مكان، ويزيد من حزنه أنه يدفع أضعاف ما يأخذ، والحزن إذا استولى على إنسان أرداه، وقد يسبب له السوداء ويصاب بالأرق الذي يصحبه القلق، وما يؤدي إليه من انفعالات نفسية تزيد من إفرازات الأدرينالين في جسمه وهي التي ترفع الضغط الدموي، كما أثبت الطب أن الحزن كثيراً ما يكون السبب الأول لظهور الداء السكري وارتفاع الضغط، وقد بينت الدراسات أنه عندما تهبط قيمة الأسهم في البورصة يلاحظ ارتفاع السكر في الدم والبول عند المضاربين)^(٣).

أما الدائن (المرابي) فهو عرضة للانفعالات النفسية، إذ كثيراً ما يفلس نتيجة عدم سداد المدينين ديونهم فيتعرض للهزات العصبية عندما يرى أن أمواله التي أقرضها الناس آملاً أن تزداد على مر الأيام قد ضاعت، فتذوي صحته ويضعف قلبه عن احتمال الصدمة وقد يصاب بالسكتة القلبية، والصدمات والأحزان تسبب زيادة ضربات القلب وتقود إلى أمراضه، وقد تؤدي إلى القرحة المعدية^(٤).

(١) سورة البقرة، الآية ٢٧٥.

(٢) انظر: الدقر، روائع الطب الإسلامي، ص ١٨٤.

؛ الأشقر عمر سليمان، الربا وأثره على المجتمع الإنساني، ص ١٠٨-١٠٩.

(٣) الغواي، بين الطب والإسلام، ص ١٢٣.

(٤) المرجع السابق، ص ١٢٤.

والمرايبي كثيراً ما لا يقرض إلا برهن، وعندما يعجز المدين عن السداد فهو قد ينتزع ملكية المدين لبيته أو مزرعته، ويصبح فجأة ذا ثراء، وفرط السرور الناجم عنها كثيراً ما يؤدي إلى صدمة أشد أثراً من صدمة الحزن، لذا نرى أن الله سبحانه قد أحل البيع وفيه الكسب المشروع الذي يأتي صاحبه تدريجياً وفي حالة ترقب لا فجأة، وهو كما يتوقع الكسب يتوقع الخسارة، وتبقى انفعالاته غالباً ضمن الحدود السوية المحتملة^(١).

المطلب الثاني: تحريم الميسر (القمار)

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ، إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾^(٣).

ذكر القرآن للميسر أضراراً واضحة وهي أنه يورث العداوة والبغضاء ويصد عن ذكر الله، ومنها إفساد التربية بتعويد النفس على الكسل وانتظار الرزق من الأسباب الوهمية، وإضعاف القوة العقلية بترك الأعمال المفيدة في طرق الكسب الطبيعية، ومنها إفلاس المقامر وتخريب البيوت فجأة بالانتقال من الغنى إلى الفقر في ساعة واحدة، فكم من ثروة بددت في ليلة من الليالي^(٤).

إن المقامر يهون عليه في سبيل القمار كل شيء، فيهمل بيته وزوجته وولده، وقد لا يخشى في نزوة لعبه الفضيحة ولا العار، فحب القمار لا يثمر إلا الفاقة والبؤس، فالمقامر لا يتردد إذا قل ماله عن الاستدانة والاستجداء^(٥).

(١) المرجع السابق، ص ١٢٤.

(٢) سورة المائدة، الآيات ٩٠-٩١.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢١٩.

(٤) الدفر، روائع الطب الإسلامي ج ٣، ص ١٨٩.

(٥) الشطي، آراء في القمار وما يجلبه من مضار وعار، مجلة حضارة الإسلام، ص ٦٣، المجلد ٢٠ العدد

٦/٥، ١٩٧٩م.

وقد يتصور أن لا صلة بين القمار وحفظ الصحة، والواقع أن صحة الإنسان تتأذى بشدة من القمار، وفي ذلك يقول الشطي: إن المقامرین الشباب ينهكهم السهر وكثرة الانفعالات النفسية، فتتوتر أعصابهم وتضعف، وينحبس الدم في الدماغ مما يؤدي إلى الأرق والهزال والخور والصدمات العصبية واليأس وقد ينتهي إلى الانتحار أو يبتلى بالهزال الشديد وسوء الحالة العامة ومظهر شيخوخي مبكر جداً^(١).

أما الكحول فتأثير القمار عليهم أشد، لأنهم أقل مقاومة للأمراض وإذا كانت الانفعالات النفسية عندهم أقل، فإن أمراض فساد التغذية أو سوء الاستقلاب فيهم كثيرة كالنقرس والسكري والرثية المزمنة وغير ذلك من الأمراض التي يساعد القمار على توليدها وجعلها شديدة وخطيرة^(٢). وقد صنف خبراء منظمة الصحة العالمية الهوس بالقمار من أمراض الإدمان عام ١٩٩٤م^(٣).

ومن هذا يتبين مدى خطورة القمار على الصحة، وأنه يجب على المسلم أن يحفظ ماله من هذه العاهة حتى لا يخسر دينه ونفسه وماله، ويخالف مقاصد الشريعة الغراء في حمايتها.

المطلب الثالث: الادخار وحفظ الصحة:

لقد حث الإسلام على الإنفاق والتوسط فيه، وذم كنز المال إذا لم يخرج حق الله فيه، أما ادخار بعض المال لجعله عدة لوقت الحاجة ووقاية للإنسان من العوز والحاجة، فهذا مطلوب في الشريعة الإسلامية ويدل عليه فعله صلى الله عليه وسلم في حديث عمر رضي الله عنه:- (إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يبيع نخل بني النضير ويحتبس لأهله قوت سنتهم)^(٤).

(١) الشطي، مقالة (القمار والصحة) مجلة حضارة الإسلام، العدد ٢، المجلد ٤ لعام ١٩٦٣م، ص ٤٣.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٤.

(٣) خبر طبي نشرته جريدة تشرين الدمشقية، بعنوان (علاج إدمان القمار) في ١٣ شباط ١٩٩٥م، نقلاً عن: الدقر، روائع الطب الإسلامي، ج ٣، ص ١٩٠.

(٤) صحيح البخاري، كتاب النفقات، باب حبس نفقة الرجل قوت سنة، ج ٥، ص ٢٠٤٨، رقم ٥٠٤٢.

فادخار ما يقتات به الإنسان من المؤن والأطعمة لوقت الحاجة، أو حفظ بعض المال اللازم لشراء الحاجات الضرورية والطارئة، واجب مراعاته إذ فيه اتقاء الملمات.

وفي قصة يوسف عليه السلام العبرة والعظة لكل إنسان، ولكل دولة من الدول، فقد نصح يوسف عليه السلام الملك بما لا بد منه، لئيتجنب أخطار القحط والمجاعة، وذلك بأن يزرعوا سبع سنين حسب طاقتهم وقدرتهم لأكبر كمية ممكنة من المحصولات التي يقتاتون بها، وخطط لهم أن يتركوا ما حصده في سنابله مدخراً، ولا ينفقوا إلا ما اقتضت الحاجة إلى إنفاقه، ومما لا بد منه للثمن، وذكر أن بعد ذلك تأتي سبع سنين من القحط يأكلون فيها ما ادخروه لهن إلا القليل مما يخصص للبذر والنماء إلى أن يفرج الله عنهم بالعام الذي يمطرون فيه، وبذا يكون قد خطط لهم عليه السلام كيف يواجهون السنين القاحلة^(١)، ولا شك أن سوق هذه القصة في القرآن الكريم فيه تربية لنا وتعليم على وجوب اتقاء المهالك بحفظ المال وادخاره.

قال تعالى: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصَّادِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ، قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرَوْهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ، ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ، ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾^(٢).

المطلب الرابع: النهي عن الإسراف:

الإسراف منهي عنه في الشريعة الإسلامية وهو ضد الحفظ وفيه يقول تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾^(٣) ويقول أيضاً: ﴿وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا، إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ

(١) أنظر: الدغمي محمد راكان، في الإسلام الغذاء لكل فم، ص ١٢٣-١٢٤.

(٢) سورة يوسف، الآيات (٤٦-٤٩).

(٣) سورة الأعراف، الآية ٣١.

الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا^(١).

فالإسراف فيه مضرة للدين والنفس والعقل والمال، ذلك لأنه يولد الترف والبطر الذي يهلك الأمم كما يقول عز من قائل: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا^(٢)﴾.

والسرف في المأكول والمشرب يجلب الأمراض القاتلة ويقعد عن العبادة والطاعات يقول صلى الله عليه وسلم: «لَمَّا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وَعَاءَ شَرَأَ مِنْ بَطْنِهِ، بِحَسَبِ ابْنِ آدَمَ لَقِيَمَاتٍ يَقْمَنُ صَلْبُهُ فَإِنْ كَانَ لَا مُحَالَةَ فَتَلَثَّ لَطْعَامُهُ وَتَلَثَّ لَشْرَابِهِ وَتَلَثَّ لِنَفْسِهِ^(٣)».

فحفظ المال إذاً من الإسراف والتبذير فيه وقاية لصحة الإنسان وسلامته، لذلك امتدح الله سبحانه وتعالى المقتصدين وجعل القصد في الإنفاق من صفات المؤمنين حيث يقول: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا^(٤)﴾.

فلا غرو بعد هذا أن شددت الشريعة الإسلامية في ذم الإسراف والمسرفين، فالإسراف مرض تجب الوقاية منه، سواء كان على مستوى الأفراد في مواجهة أعباء الحياة، أم كان على مستوى الدولة في مواجهة مسؤولياتها تجاه المواطنين، فيحرم على الدولة تبذير الأموال في اللهو والحفلات وبذخ الشهوات والملذات وهناك من لا يجد الغذاء والكساء والدواء في الرعاية.

بل حتى الإنفاق في المباحات ومصالح الدولة الداخلية والخارجية يجب أن يراعى فيه الاقتصاد والتخطيط للمستقبل، والنظر إلى حالة الناس من العسر والغنى والفاقة وكفايتهم من حيث المرتبات والمساعدات.

(١) سورة الإسراء، الآيات ٢٦-٢٧.

(٢) سورة الإسراء، الآية ١٦.

(٣) سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب كراهية كثرة الأكل، ج ٤، ص ٥٩٠، رقم ٢٣٨٠، صحيحه الألباني

(صحيح سنن الترمذي ج ٢، ص ٢٨١).

(٤) سورة الفرقان، الآية ٦٧.

المطلب الخامس: مراعاة حالة المفلس:

لم يكن الإسلام في عدله بين الناس ورد الحقوق لأصحابها ببالغ حدد الشطط والإضرار، بل راعى حالات العسر والإفلاس الذي يذهب بأموال البعض، فلم يجردهم من جميع ما يملكون بل يحفظ لهم ما يقيم الأود ويكفيهم العيش، فقد ذكر الفقهاء أن الشخص لو أفلس وبيع ماله ليوزع على الدائنين فإن الحاكم لا يبيع مسكنه الذي هو من الضرورات لحياته ومن يعول، كما لا تباع وسائل حرفته التي بواسطتها يجمع رزقه، ولا ثوبه الذي يستر عورته، كما يترك له ما فيه نفقته ونفقة أولاده وأهله وكسوتهم^(١).

(وفي هذا محافظة على الحاجات الضرورية الأساسية للأفراد، لأن من كان عنده وسائل الحرفة يستطيع أن يستفيد منها بالعمل والإجارة، والإعارة والرهن، وسائر الأعمال حتى يستطيع أن يوفر حاجاته الضرورية التي تغنيه عن الناس)^(٢)، وفي ذلك من حفظ صحته وصحة عياله ووقايتهم ما لا يخفى.

المطلب السادس: حفظ المال بحدوء الفقر:

إن اهتمام الشريعة الإسلامية بحفظ المال نابع من أهمية المال في حياة الإنسان.

فإن للفقر أخطاراً جسيمة على الصحة العامة، لما يتبعه عادة من سوء التغذية، وسوء التهوية وسوء السكن، وعلى الصحة النفسية، لما يلزمه عادة من الضجر والتبرم والقلق والسخط.

وفوق ذلك كله فالفقر خطر على أمن المجتمع وسلامة أفراد وقد روي عن أبي ذر أنه قال: (عجبت لمن لا يجد القوت في بيته كيف لا يخرج على الناس شاهراً سيفه)^(٣).

(١) أنظر: عبد الغفار إبراهيم صالح، الإفلاس في الشريعة الإسلامية، ص (١٠٥-١١٦).

(٢) الدغمي، في الإسلام الغذاء الكامل، ص ٤٣.

(٣) القرضاوي، مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، ص ١٨.

٢ - عقدة الحرمان المادي:

التي يسببها الفقر والحرمان فينظر الإنسان إلى من هو أعلى منه وأفضل حالاً منه فيتحسر على نفسه وعلى فقره.

وقد أمر الإسلام الإنسان أن لا ينظر لمن فوقه نظرة تشاؤم وتحسر، بل لينظر إلى من هو أسوأ حالاً منه فتهون عليه حالته يقول صلى الله عليه وسلم:-
«انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم»^(١). والنظرة الإسلامية للمال نظرة معتدلة، فهو وسيلة لا غاية، ويجب على الإنسان أن يعمل ويسعى لتحصيل رزقه، وليس أن يقعد ويندب حظه.

ولا ننسى أن الدولة مكلفة شرعاً بتأمين المسكن والملبس والعمل لأفراد المجتمع كي لا يبقى أحد دون عمل ينتظر إحسان الناس.

٣ - الفقر يضيع الصحة العقلية:

(ليس بلاء الفقر وخطره مقصوراً على الجانب الروحي والخلقي للإنسان، وإنما يشمل أيضاً الجانب الفكري منه، فالفقير الذي لا يجد ضرورات الحياة وحاجاتها لنفسه وأهله وولده، كيف يستطيع أن يفكر تفكيراً دقيقاً ولا سيما إذا كان هناك بجواره من تغص داره بالخيرات وتموج خزائنه بالذهب)^(٢) فأنى لمثل هذا أن يتعلم وينمي عقله التتمية التي هي من ضرورات حفظ العقل وسلامة الفكر.

وقد روي عن الإمام محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة (أن الجارية أخبرته يوماً في مجلسه، أن الدقيق نفذ، فقال لها: قاتلك الله، لقد أضعت من رأسي أربعين مسألة من مسائل الفقه)^(٣).

(١) صحيح مسلم، كتاب الزهد، ج ٤، ص ٢٢٧٥، رقم ٢٩٦٣.

(٢) القرضاوي، مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، ص ١٦.

(٣) المرجع السابق، ص ١٦.

ويروى عن الإمام أبي حنيفة أنه قال: (لا تستشر من ليس في بيته دقيق)^(١)، أي لأنه مشئت الفكر، مشغول البال، فلا يكون حكمه سديداً، وذلك لأن الانفعالات تؤثر على سلامة الإدراك، وصحة الرأي كما يقرر علم النفس^(٢)، ويؤيده حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا يَقْضِيَنَّ حَكْمَ بَيْنِ اثْنَيْنِ وَهُوَ غَضَبَانِ»^(٣) وقاس الفقهاء على الغضب شدة الجوع وشدة العطش وغيرها من الانفعالات المؤثرة.

٤ - صلة الفقر بجريمة القتل:

لقد حكى القرآن عن العرب أنهم كانوا يقدمون على قتل أولادهم من أجل الفقر الواقع بهم، فقال تعالى وهو ينهاهم عن ذلك: «وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ»^(٤). وفي تفسيرها يقول الإمام الطبري: (ولا تئدوا أولادكم فتقتلوه من خشية الفقر على أنفسكم بنفقاتهم، فإن الله هو رازقكم وإياهم، ليس عليكم رزقهم فتخافوا بحياتهم على أنفسكم العجز على أرزاقهم وأقواتهم)^(٥).

وكما كانوا يقتلون أولادهم من أجل فقر حاصل بهم فعلاً، فكذلك كانوا يقتلونهم بمجرد الخوف من الفقر في المستقبل، فجاء النهي عن ذلك في قوله تعالى: «وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا»^(٦).

قال الحافظ ابن كثير: (أي لا تقتلوه خوفاً من الفقر في الآجل)^(٧) ومن هنا كان الفقر عاملاً من عوامل الاضطراب وعدم الاستقرار، والإخلال بالأمن العام،

(١) الذهبي، ميزان الاعتدال، ج ٥، ص ١٣.

(٢) أنظر: العيسوي، الإسلام والعلاج النفسي الحديث، ص ١٦١.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب هل يقضي القاضي أو يفتي وهو غضبان، ج ٦، ص ٢٦١٦ رقم ٦٧٣٩.

(٤) سورة الأنعام، الآية ١٥١.

(٥) الطبري، تفسير الطبري، ج ١٢، ص ٢١٧.

(٦) سورة الإسراء، الآية ٣١.

(٧) ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج ٣، ص ١٢٢.

الخاتمة

الوقاية الصحية مبدأ عظيم من مبادئ التربية الإسلامية، وقد اتضح لنا في ثنايا هذه الدراسة أن التربية الإسلامية اعتنت بالوقاية الصحية، عنايتها بالجوانب الأخرى، وأعطتها أهمية بالغة، حتى لا تكاد تجد أمراً أو نهياً في تعاليم الإسلام إلا وهو يحمل شيئاً من الوقاية لصحة الإنسان، وهذا من روعة الإسلام وشموله، فالمسلم يؤدي الفرائض والسنن، طاعة لله ولرسوله -صلى الله عليه وسلم- فيحصل له عند إحسانها فوائد صحية وقائية كثيرة، جمعنا منها ما أمكن الاطلاع عليه مما توصل إليه العلماء قديماً وحديثاً، وما تزال الكشوف تتوالى عن كثير منها بتقدم البحث والعلم.

وقد أدرك علمائنا هذا الأمر فصاغوه في قالب المقاصد العامة للشرعية الإسلامية، اتضح لنا من خلال الدراسة أنها قواعد وقائية خالصة، تحيط الإنسان بسور حصين من الحماية، فتحفظ به حياته من جميع جوانبها النفسية والعقلية والجسمية، وفي ظلها غاية ما يطمح إليه الإنسان من حقوق وحياة هنية.

إن الفروض والواجبات وغيرها من السنن والمستحبات في الإسلام تتصل بالصحة، وهي ترمي إلى إصابة هدفين وتحقيق غايتين في آن واحد غاية دينية وغاية صحية.

ولكن مما ينبغي التأكيد عليه هو أننا إذا تمكنا من معرفة حكمة ما، ظنناها علة التحريم لمحررم ما، فهذا لا يعني أنه لا توجد حكمة أخرى قد يكتشفها العلم في المستقبل، كما قد تكون هي وقد تكون غيرها، وحتى إذا أمكن بحسب الظاهر التحرز عن ذلك الضرر بوسيلة ما لا يقوم جاحد ليدعي أن ذلك المحرم أصبح حلالاً بعد أن كان حراماً، فيجب علينا أن نعلم بأن كل أمر أو نهى لله عز وجل، مع الحكم التي يلحظها العلم، حكمة تعبدية خالصة، وهي طاعة الله وتقواه بتنفيذ أوامره ونواهيه.

وقد خلصت الدراسة إلى عدة أمور أهمها:

- ١ - الوقاية الصحية في الإسلام تشمل الصحة النفسية والعقلية والبدنية والبيئية.
- ٢ - التربية الوقائية الصحية في ظل المقاصد الضرورية للشريعة الإسلامية أساس للوقاية الصحية والطب الوقائي، وقد أثبتت الدراسة أن الفكر الإسلامي قد كان له سبق ريادي في هذا الشأن، وأن اتباع هذا النظام يريح البشرية من عدد من الأمراض المنتشرة حالياً.
- ٣ - الوقاية الصحية في ظل تطبيق النظام الإسلامي أمر مطلوب ومضمون على جميع الأصعدة، فهي واجبة على المسلم فرداً ومجتمعاً ونظاماً سياسياً يراعى شؤون الأمة.
- ٤ - الدراسات الطبية الحديثة، والاكتشافات المتسارعة في عصرنا تؤكد أن جميع ما جاء به الإسلام من فرائض وسنن وأوامر ونواهي تضمن سلامة الجنس البشري ووقايته صحياً واستمرارية الحياة الهانئة له في مجتمع صحي وبيئة متوازنة نظيفة.
- ٥ - البحث في جزئيات الوقاية الصحية والتربية الصحية لازم يقع على مسؤولية معاهد العلم ليس في كليات الطب والعلوم والصحة العامة فحسب وإنما في كليات التربية والشريعة والدراسات الإسلامية والتربية الرياضية.

التوصيات

يعد موضوع "التربية الوقائية الصحية في ظل مقاصد الشريعة الإسلامية" من الموضوعات الهامة في المشروع الحضاري الإسلامي، لذا يوصي الباحث بما يلي:

- ١ - أن يعتني الباحثون بدراسة كل مقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية الخمسة على حدة ويفصلوا ما فيه من تربية وقائية صحية وأن يضيفوا ما يستجد من اكتشافات.
- ٢ - العمل على إنتاج برامج إعلامية تظهر وتشرح للناس الوقاية الصحية في تعاليم الإسلام.
- ٣ - العمل على إنشاء "هيئات عليا" تُعنى ببحث قضايا الإعجاز الوقائي الصحي في الإسلام، ونشرها تباعاً إظهاراً لمحاسن الإسلام.
- ٤ - أن تتبنى المحاضن التربوية المنهج الوقائي، ويعتني المربون بترسيخ دعائمه في القلوب بالأساليب التربوية المتنوعة.

فهرس المراجع

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- الإبراهيم، محمد عقله، الإسلام خصائصه ومقاصده، مؤسسة الرسالة - عمان، ط٢، ١٤١٨هـ.
- ٣- أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي - بيروت ط١، ١٤٠٣هـ.
- ٤- أبو زهرة، محمد، أصول الفقه، دار الفكر العربي - القاهرة، ط٢، دت.
- ٥- أبو زهرة، محمد، الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي دار الفكر العربي - القاهرة، ط٢، دت.
- ٦- أحمد جواد، الخنزير بين منظار العلم وميزان الشرع، دار السلام - القاهرة، ط١، ١٩٨٧م .
- ٧- أحمد ضياء الدين، أثر التربية الوقائية في صيانة المجتمع المسلم، رسالة دكتوراة في أصول التربية، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، ١٤١٧هـ (غير منشورة).
- ٨- أحمد عبدالرؤوف هاشم، من الأسرار الطبية للصيام، دار الأندلس - السعودية، ط١، ١٤١٤هـ.
- ٩- أحمد فائز، دستور الأسرة في ظل القرآن، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط٣، ١٤٠٣هـ.
- ١٠- الأشقر، عمر سليمان، الربا وأثره على المجتمع الإنساني، مكتبة الفلاح - الكويت، ط٣، ١٤١٠هـ.

- ١١- الأصبحي، مالك بن أنس أبو عبدالله، موطأ الإمام مالك ، دار إحياء التراث العربي - مصر، دط، دت.
- ١٢- الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الدار السلفية - الكويت ، ط١، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.
- ١٣- الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح سنن أبي داود، مكتب التربية العربي لدول الخليج - الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.
- ١٤- الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح سنن ابن ماجه، مكتب التربية العربي لدول الخليج - الرياض، ط٣، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- ١٥- الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح سنن الترمذي ، مكتب التربية العربي لدول الخليج - الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- ١٦- الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح سنن النسائي، مكتب التربية العربي لدول الخليج - الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م.
- ١٧- إلكسيس كارل، الإنسان ذلك المجهول، تعريب : شفيق أسعد فريد ، مكتبة المعارف - بيروت، دط، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٩م.
- ١٨- إلكسيس كارل، تأملات في سلوك الإنسان، مكتبة مصر - القاهرة، دت، دط.
- ١٩- أمير عبدالعزيز، حقوق الإنسان في الإسلام، دار السلام - القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .
- ٢٠- ابن الأخوة، محمد بن محمد بن أحمد القرشي، معالم القرية في أحكام الحسبة، الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة، دط، ١٩٧٦م.

- ٢١- ابن العربي، أبي بكر محمد بن عبدالله، أحكام القرآن، مطبعة عيسى البابي - مصر، ط٢، ١٣٨٧هـ.
- ٢٢- ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الطب النبوي، دار الفكر - بيروت، ط١، دت .
- ٢٣- ابن القيم، محمد بن أبي بكر، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط١٤، ١٤٠٧هـ.
- ٢٤- ابن تيمية، أحمد بن تيمية، مجموع الفتاوى، دار عالم الكتب - الرياض، دط، ١٤١٢هـ.
- ٢٥- ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار المعرفة - بيروت، دط، ١٣٧٩هـ.
- ٢٦- ابن حزم، علي بن أحمد، المحلى، دار الآفاق الجديدة - بيروت، ط١، ١٩٨٠م.
- ٢٧- ابن خلكان، أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار القلم - بيروت، دط، ١٣٩٧ هـ .
- ٢٨- ابن رشد، محمد بن رشد القرطبي، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، دار المعرفة - بيروت، ط٧، ١٤٠٥ هـ.
- ابن عاشور، محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، الشركة التونسية للتوزيع - تونس، ط١، ١٩٧٨ م .
- ٢٩- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، مطبعة المعارف - بيروت، دط، ١٩٦٦م.

- ٣٠- ابن كثير، إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم ، دار الأندلس -
السعودية، ط١، ١٣٨٥هـ.
- ٣١- ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، سنن ابن ماجه، دار الفكر -
بيروت، دط، دت.
- ٣٢- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب ، دار صادر - بيروت ، ط١،
١٩٠٠م.
- ٣٣- ابن نجيم، زين الدين ابن نجيم الحنفي، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، دار
المعرفة - بيروت، ط٢، دت.
- ٣٤- اطفيش، محمد يوسف، شرح النيل وشفاء العليل، مكتبة الإرشاد - جدة، ط٣
١٤٠٥هـ.
- ٣٥- البار، محمد علي، الأسرار الطبية والأحكام الفقهية في تحريم الخنزير، الدار
السعودية - جدة، ط١، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- ٣٦- البار، محمد علي، التدخين وأثره على الصحة ، الدار السعودية للنشر -
جدة، ط٣، ١٤٠٠هـ.
- ٣٧- البار، محمد علي، الجنين المشوه والأمراض الوراثية، دار القلم - دمشق،
ط١، ١٤١١هـ .
- ٣٨- البار، محمد علي، الخمر بين الطب والفقه، الدار السعودية - جدة، ط٧،
١٤٠٦هـ.
- ٣٩- البار، محمد علي، المخدرات الخطر الداهم، دار القلم - دمشق، ط١،
١٤٠٨هـ.

- ٤٠- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ، صحيح البخاري، دار ابن كثير- بيروت ، ط٣، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
- ٤١- بربور، عادل أحمد، نزار أحمد، علي فرحان، رامي الحجاج، الطب الوقائي في الإسلام، دن - دمشق، دط، ١٩٩٢م .
- ٤٢- البغدادي، أبو محمد بن غانم بن محمد، مجمع الضمانات في مذهب الإمام أبي حنيفة المطبعة الخيرية - مصر، ط١ ١٣٠٨هـ .
- ٤٣- البغدادي، موفق الدين عبد اللطيف، الطب من الكتاب والسنة، دار المعرفة - بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ .
- ٤٤- البغوي، الحسين بن مسعود، تفسير البغوي (معالم التنزيل)، دار طيبة - الرياض، ط٢، ١٤١٤هـ .
- ٤٥- البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، مؤسسة شعبان - بيروت دط، دت .
- ٤٦- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر ، سنن البيهقي الكبرى ، مكتبة دار الباز - مكة المكرمة، دط، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م .
- ٤٧- الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، الجامع الصحيح سنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط١، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م .
- ٤٨- علوان توفيق محمد، معجزة الصلاة في الوقاية من دوالي الساقين، دار الوفاء - المنصورة، ١٩٨٨م .
- ٤٩- الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات ، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ .

- ٥٠- جاد الحق فوزي علي، الصحة العامة والرعاية الصحية، دار المعارف - القاهرة، ط٥، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .
- ٥١- الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح، دم، دن، ط٢، ١٤٠٢هـ .
- ٥٢- جليبي خالص، الطب محراب الإيمان، دار الكتب العربية - بيروت، ط٧، ١٤١٣هـ.
- ٥٣- الجويني، إمام الحرمين عبد الملك بن عبدالله، البرهان في أصول الفقه، دار الأنصار - القاهرة، ط٢، ١٤٠٠هـ.
- ٥٤- الحاكم، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م.
- ٥٥- الحبيب طارق علي، مفاهيم خاطئة عن الطب النفسي، دار المسلم - الرياض، ط٢، ١٤٢٠هـ.
- ٥٦- الحسني، محمد بن العلوي المالكي، صلة الرياضة بالدين ودورها في تنشئة الشباب المسلم، مكتبة العبيكان - الرياض، ط١، ١٤١٢هـ.
- ٥٧- حوى سعيد، الإسلام، دار الكتب العلمية - بيروت، ط٣، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
- ٥٨- الخادمي، نور الدين، علم المقاصد الشرعية، دار العبيكان - السعودية، ط٤، ١٤١٧هـ .
- ٥٩- خان، وحيد الدين، الإسلام يتحدى، تعريب : ظفر الإسلام خان، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط١٢، ١٤١٨هـ / ١٩١٧.
- ٦٠- خلّاف عبد الوهاب، علم أصول الفقه، دار القلم - بيروت، ط٢، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

- ٦١- الخرشي، محمد بن عبدالله العدوي، شرح الخرشي على مختصر سيدي خليل دار صادر - بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٠م .
- ٦٢- الخليلي، أحمد بن حمد، العبادة وأثرها في حياة المسلم، مكتبة الاستقامة - سلطنة عمان، ط ١، ١٤٠٥هـ.
- ٦٣- الخليلي، أحمد بن حمد، من ضروب الانتحار، مكتبة الاستقامة - سلطنة عمان، ط ٢، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
- ٦٤- الخليلي، محمد بن عبدالله، الفتح الجليل من أجوبة الإمام أبي خليل، المطبعة العمومية - دمشق، دط، ١٣٨٥هـ / ١٩٩٥م.
- ٦٥- دار الافتاء المصرية، الفتاوى الإسلامية، وزارة الأوقاف - القاهرة ، دط، ١٤٠٣هـ.
- ٦٦- الدردير، أحمد، الشرح الكبير، دار إحياء الكتب العربية - بيروت ، دط، دت.
- ٦٧- الدريني، فتحي، خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم، دار الرسالة - بيروت، ط ١، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
- ٦٨- الدغمي، محمد رakan، في الإسلام الغذاء لكل فم، دار المعارف - القاهرة، دط، دت.
- ٦٩- الدقر، محمد نزار، روائع الطب الإسلامي، دار المعاجم - دمشق ، ط ١، ١٤١٧هـ.
- ٧٠- الدمرداش، سرحان، مناهج التربية الصحية في المدارس، دار الحكمة، القاهرة، ١٩٦٢م.
- ٧١- دوكوري، عثمان، التدابير الواقية من القتل ، دار الوطن - الرياض، ط ١، ١٤٢٠هـ.

- ٧٢- الدومي، أحمد عبد الجواد، الاسلام منهاج وسلوك ، المكتبة العصرية - بيروت، دط، ١٩٧٣م .
- ٧٣- الذهبي، محمد بن أحمد، الطب النبوي ، دار أحياء العلوم - بيروت، ط١ ١٩٨٤م.
- ٧٤- الرازي، فخر الدين محمد، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) دار الكتب العلمية، طهران، ط٢، دت.
- ٧٥- الربيع بن حبيب بن عمر الأزدي البصري، مسند الإمام الربيع، دار الحكمة- بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
- ٧٦- الرشidan عبدالله، نعيم جعيني، المدخل إلى التربية والتعليم ، دار الشروق - عمان، ط١، ١٩٩٤م.
- ٧٧- الرماني، زيد محمد، مقاصد الشريعة الإسلامية، دار الغيث - جدة، ط١، ١٤١٥هـ .
- ٧٨- الرملي، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج ، المكتبة الاسلامية - القاهرة ، دط ، ١٣٥٨هـ.
- ٧٩- رويحه، أمين، التداوي بلا دواء ، دار القلم - بيروت، ط٢، ١٣٩٤هـ.
- ٨٠- الريسوني، أحمد، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي ، الدار العالمية - الرياض، ط٢ ١٤١٢هـ .
- ٨١- الزحيلي، محمد، التكريم الإلهي للإنسان، دار القلم - بيروت، ط١، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م .
- ٨٢- الزحيلي، وهبة، نظرية الضرورة الشرعية، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط٣، ١٩٨٢م.

- ٨٣- الزحيلي، وهبة، الأصول العامة لوحدة الدين الحق، المكتبة العباسية - دمشق، ط١، ١٩٧٢م.
- ٨٤- الزعبلوي، محمد السيد محمد، تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، ط٢، ١٤١٦هـ.
- ٨٥- زكي شعبان، إبراهيم وجدي، إسماعيل صبري، صحة الأم والطفل، مكتبة نهضة مصر - مصر د ط، د ت .
- ٨٦- الزنتاني، عبد الحميد الصيد، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، الدار العربية للكتاب - ليبيا، تونس، د ط، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- ٨٧- سامي خضر عبد الحافظ، البيئة والمرض، الفصل الرابع من كتاب مرجع المعلم في بيولوجيا الجماعات البشرية، تحرير الدكتور محمد صابر سليم، منشورات اليونسكو ١٩٨١م .
- ٨٨- سابق السيد، العقائد الإسلامية، الفتح للإعلام العربي - القاهرة، د ط، ١٤١٢هـ
- ٨٩- سلسلة ندوات الحوار بين المسلمين، المجمع الملكي لبحوث الحضارة - عمان، د ط، ١٩٩٥م.
- ٩٠- سلوى عثمان صديقي، مدخل في الصحة العامة والرعاية الصحية، المكتب الجامعي الحديث - الإسكندرية ، د ط، ١٤١٩هـ .
- ٩١- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر، الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، دار الكتب العلمية - القاهرة، ط٢، ١٩٥٤م.
- ٩٢- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار المعرفة - بيروت، ط١، د ت.

- ٩٣- الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الموافقات في أصول الشريعة، المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة، ط١، ١٤٠٠هـ .
- ٩٤- الشربيني، محمد الخطيب، مغني المحتاج، دار الفكر - بيروت، دت، دط.
- ٩٥- الشريف، عدنان، من علم النفس القرآني دار العلم للملايين - بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.
- ٩٦- الشريف، محمد كمال، سكة الإيمان، دار ابن كثير - دمشق، ط١، ١٤١٧هـ.
- ٩٧- الشطي، أحمد شوكت، نظرات في المسكرات دن - دمشق، دط، دت .
- ٩٨- الشهرستاني، عبد الرزاق، أسس الصحة والحياة، مطبعة الآداب - العراق، دط، ١٩٧١م .
- ٩٩- الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، محفوظ العلي - بيروت، ط١، دت.
- ١٠٠- الشيباني، أحمد بن حنبل أبو عبدالله، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة - مصر، دط، دت .
- ١٠١- الشيرازي، أبو اسحق إبراهيم بن علي، المذهب في فقه الإمام الشافعي، دار المعرفة - بيروت، ط٢، ١٣٧٩هـ.
- ١٠٢- الشيزري، عبد الرحمن بن نصر بن عبدالله، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، دار الثقافة - بيروت، ط٢، ١٩٨١م.
- ١٠٣- الصباحي، أحمد عوض الله، الاستشفاء بالقرآن الكريم دار الهلال - بيروت، دط، ١٤٠٠هـ.
- ١٠٤- طيارة، عفيف بن الفتاح، روح الدين الإسلامي، دار العلم للملايين - بيروت، ط١٢، ١٣٩٤هـ .

- ١٠٥- الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم، المعجم الكبير، مكتبة العلوم والحكم - الموصل، ط ٢، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م.
- ١٠٦- الطرشة، عدنان، الصلاة والرياضة والبدن، المكتب الإسلامي - بيروت، ط ١، ١٤١٣هـ.
- ١٠٧- طنطاوي، محمود، التربية وأثرها في رفع المستوى الصحي، مكتبة الفلاح - الكويت، ط ١، ١٤١٠هـ.
- ١٠٨- الطويل، نبيل صبحي، الخمر والإدمان الكحولي، المكتب الإسلامي - دم، ط ١، ١٤٠٠هـ.
- ١٠٩- الطيار، عبدالله، المخدرات في الفقه الإسلامي، دار ابن الجوزي - الرياض، ط ٢، ١٤١٨هـ.
- ١١٠- العالم، يوسف حامد، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، دار الحديث - القاهرة، ط ١، دت .
- ١١١- العاني، نزار، الشخصية الإسلامية في التراث الإسلامي، دار الفرقان - عمان، ط ١، ١٤١٨هـ.
- ١١٢- عبد الحميد دياب، أحمد قرقوز، مع الطب في القرآن الكريم، مؤسسة علوم القرآن - دمشق، ط ٢، ١٤٠٢هـ .
- ١١٣- عبد الرزاق نوفل، الإسلام والعلم الحديث، دار الكتاب العربي - بيروت، ط ١، ١٣٩٣هـ.
- ١١٤- عبد الكريم عثمان، معالم الثقافة الإسلامية، مؤسسة الأنوار - الرياض، ط ٣، ١٣٩٤هـ.

- ١١٥- عبدالله إبراهيم موسى، المسؤولية الجسدية في الإسلام، دار ابن حزم - بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.
- ١١٦- عبدالله معاوية، الدافع إلى ارتكاب جريمة القتل في الوطن العربي، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب - الرياض، دط، ١٤٠٦هـ.
- ١١٧- عرموش، هاني، المخدرات إمبراطورية الشيطان، دار النفائس - بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.
- ١١٨- علوان، عبدالله ناصح، تربية الأولاد في الإسلام، دار السلام - القاهرة، ط٣١، ١٤١٨هـ.
- ١١٩- علوان، فارس، وفي الصلاة صحة ووقاية، دار السلام - مصر، ط١، ١٤١٥هـ.
- ١٢٠- علي أحمد علي، الأسس النظرية والتطبيقية للصحة النفسية، دار وهران - مصر، دط، دت.
- ١٢١- عودة، محمد، كمال إبراهيم، الصحة النفسية في ضوء علم النفس والإسلام، دار القلم - الكويت، ط٣، ١٩٩٤م.
- ١٢٢- العيسوي، عبد الرحمن، الإسلام والعلاج النفسي الحديث، دار النهضة العربية - بيروت، دط، ١٩٨٨م.
- ١٢٣- غازي عبد اللطيف موسى، الأمراض التناسلية بين الطب والدين، دار ابن حزم - بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
- ١٢٤- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، مؤسسة الحلبي، دم، دط، ١٣٨٧هـ.
- ١٢٥- الغزالي، محمد، عقيدة المسلم، دار القلم - بيروت، ط٥، ١٤٠٥هـ.
- ١٢٦- الغزي، هشام، بنى الإسلام، دار أسامة - دمشق، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.

- ١٢٧- الغوابي، حامد، بين الطب والإسلام ، دار الكتاب العربي - بيروت، دط، ١٩٦٧م.
- ١٢٨- فاخر عاقل، معجم العلوم النفسية، دار الرائد العربي - بيروت ط ١ ١٩٨٨م.
- ١٢٩- الفاسي، علال، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها ، دار الغرب الإسلامي - بيروت ط ٥، ١٩٩٣ م .
- ١٣٠- الفاكهي، محمد بن اسحق، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، دار خضر - بيروت، ط ٢، ١٤١٤هـ.
- ١٣١- فرج زهران، المسكرات أضرارها وأحكامها، دار مصر للطباعة - مصر، دط، دت.
- ١٣٢- الفنجري، أحمد شوقي، الطب الوقائي في الإسلام ، الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة، دط ، ٢٠٠٠م.
- ١٣٣- الفيروزأبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤٠٧هـ.
- ١٣٤- قادري، عبدالله أحمد، الإسلام وضرورات الحياة، دار المجتمع - جدة، ط ١، ١٤٠٦هـ.
- ١٣٥- القرافي، أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن، الفروق، دار عالم الكتب - بيروت، دط، دت.
- ١٣٦- القرضاوي، يوسف، الإيمان والحياة، مكتبة وهبة - القاهرة ، ط ٣، ١٩٧٥م.
- ١٣٧- القرضاوي، يوسف، الخصائص العامة للإسلام ، مكتبة وهبة - القاهرة، ط ٢، ١٩٨١م .

- ١٣٨- القرضاوي، يوسف، فقه العلم، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط٢، ١٩٨٤م.
- ١٣٩- القرضاوي، يوسف، مشكلة الفقر وكيف عالجه الإسلام ، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط١١، ١٤١٧هـ.
- ١٤٠- القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، الجامع لأحكام القرآن، دار الشعب - القاهرة، ط٢، ١٣٧٢هـ.
- ١٤١- القرني، عوض محمد، المختصر الوجيز في مقاصد التشريع، دار الأندلس الخضراء - جدة، ط١، ١٤١٩هـ .
- ١٤٢- القسوس، فؤاد، حقيقة المخدرات، وزارة الصحة الأردنية، دط، دت.
- ١٤٣- القضاة، عبد الحميد، الأمراض الجنسية عقوبة إلهيه ، دار عالم الكتب - الرياض، ط٢ ١٤٠٦هـ.
- ١٤٤- القوصي، عبد العزيز، علم النفس أسسه وتطبيقاته التربوية، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة، دط، ١٩٧٠م.
- ١٤٥- الكاساني، علاء الدين أبو بكر بن مسعود، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، دار الكتاب العربي - بيروت، ط٢، ١٤٠٢ هـ.
- ١٤٦- قطب سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق - بيروت، ط١٧، ١٤١٢هـ.
- ١٤٧- الكمالي، عبدالله، الشريعة الإسلامية وفقه الموازنات ، دار ابن حزم - بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.
- ١٤٨- كنعان، أحمد محمد، الموسوعة الطبية الفقهية، دار النفائس - بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.
- ١٤٩- الكيلاني، عبد الرحمن إبراهيم، قواعد المقاصد عند الإمام الشاطبي ، دار الفكر - دمشق، ط١، ٢٠٠٠م.

- ١٥٠- المباركفوري، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم ، تحفة الأحوزي بشرح
جامع الترمذي، دار الكتب العلمية - بيروت، دط، دت.
- ١٥١- مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، المركز العربي للثقافة والعلوم -
بيروت، دط، ١٩٨٠م.
- ١٥٢- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط ، دار عمران - القاهرة، ط٣، ١٩٨٥م.
- ١٥٣- مجموعة باحثين، دليل إعلام عمان، جامعة السلطان قابوس، ط١،
١٤١٢هـ/١٩٩١م.
- ١٥٤- المحاسبي، أبو عبدالله الحارث بن أسد، رسالة المسترشدين، دار السلام -
القاهرة، ط٥، ١٤٠٩هـ.
- ١٥٥- محمد إبراهيم سليم، التداوي بالصيام، مكتبة ابن سينا - القاهرة، دط، دت.
- ١٥٦- محمد رشاد عامر، الموجز في علم التغذية وتغذية المرضى، دار القلم -
الكويت، دط، دت.
- ١٥٧- محمد رشيد رضا، تفسير المنار، دار المعرفة - بيروت، ط٢، دت.
- ١٥٨- محمد شري، الوقاية الصحية، دار الفكر اللبناني - بيروت، ط١، ١٩٨٤م.
- ١٥٩- محمد عبد المنعم، الأمراض الجلدية والتناسلية بين القرآن والسنة، مؤسسة
أخبار اليوم - القاهرة، دط، ١٩٩٠م .
- ١٦٠- محمد عثمان عثمان، الصلاة وآثارها الصحية والنفسية والاجتماعية، دار
الرضوان - سوريا، دط، دت.
- ١٦١- محمد نعيم ياسين، الوجيز في الفقه الجنائي الإسلامي، دار الفرقان - عمان،
ط١.

- ١٧٤- المودودي، أبو الأعلى، الحجاب، مؤسسة الرسالة - بيروت، دط، ١٣٩٨هـ.
- ١٧٥- المودودي، أبو الأعلى، تفسير سورة النور، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٩٧٩م.
- ١٧٦- المويل، كمال، الإعجاز الطبي في السنة النبوية، دار ابن كثير - دمشق، ط١، ١٤١٨هـ.
- ١٧٧- الميرغنائي، علي بن أبي بكر بن عبد الجليل، الهداية شرح بداية المبتدي، المكتبة الإسلامية - دم، ط١، ١٤٠٠هـ.
- ١٧٨- النابلسي، محمد، نظرات في الإسلام، دار المكتبي - دمشق، ط١، ١٤١٥هـ.
- ١٧٩- نجاتي، محمد عثمان، القرآن وعلم النفس، دار الشروق - القاهرة، ط٤، ١٩٨٩م.
- ١٨٠- النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، السنن الكبرى، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.
- ١٨١- النسيمي، محمود ناظم، الطب النبوي والعلم الحديث، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط٤، ١٤١٧هـ.
- ١٨٢- نضال سميح عيسى، الطب الوقائي بين العلم والدين، دار المكتبي - دمشق، ط١، ١٤١٧هـ.
- ١٨٣- النورسي، بديع الزمان سعيد، عصا موسى، ترجمة: ملا عبد المجيد النورسي، دن - بيروت، ط١، ١٩٧٣م.
- ١٨٤- الهلباوي، إسماعيل، ماذا تعرف عن الأمراض؟، مطبوعات تهامة - جدة، ط١، ١٤٠٢هـ.

١٨٥- الهيثمي، أحمد بن محمد بن علي بن حجر، الزواجر عن اقتراف الكبائر، دار المعرفة - بيروت، ط٢، دت.

١٨٦- وافي، علي عبد الواحد، حماية الإسلام للأنفس والأعراض، مطبعة الشعب - القاهرة، دط، دت.

١٨٧- الوقفي، إبراهيم، تلك حدود الله، دار العلوم، الدوحة، ط٢، ١٣٩٩هـ.

١٨٨- يوسف قاسم، نظرية الضرورة في الفقه الجنائي الإسلامي والقانون الوضعي، دار النهضة - القاهرة، دط، ١٤١٣هـ.

الصحف والمجلات :

- ١- جريدة المسلمون - السعودية، العدد ٣٨، ٢٥ رمضان ١٤٠٢هـ.
- ٢- صحيفة الاتحاد - الإمارات العربية المتحدة، العدد ٥٧٣٩، ٢٩ شعبان ١٤١٠هـ.
- ٣- مجلة حضارة الإسلام - دمشق، الأعداد ٥، ٦، ١٩٧٩م.
- ٤- مجلة قضايا إسلامية معاصرة ، العددان : التاسع والعاشر ١٤٢١هـ.
- ٥- مجلة المجتمع، الكويت، العدد ١٣٨٠، ٦-١٢ رمضان ١٤٢٠هـ.
- ٦- مجلة المسلم المعاصر - بيروت ، العدد ٣٢، شوال ١٤٠٢هـ .
- ٧- مجلة منار الإسلام - الإمارات العربية المتحدة، العدد الثامن، ١٤٠٧هـ.
- ٨- مجلة الوعي الإسلامي - الكويت، العدد ١٧٧.
- ٩- منشورات منظمة الصحة العالمية، المكتب الإقليمي للشرق الأوسط.

Abstract

Preventive Health Education in Light of the Necessary intentions of Islamic Sharia'

Prepared by

Mohammed Ben Nasser Al-Mahrooky

Supervised by

Professor Mohammed Ali Al-Omari

Professor Sami Khader Abdel Hafez

This study aimed at illustrating the concept of "preventive health education" which had been derived from the concepts of: health, disease prevention, and education. It also determined the importance of health education in the Islamic system, and indicated that Islamic education is concerned with health protection which is reflected upon man's life in all aspects of the individual, society, economy, education and teaching.

The study also focused on the Islamic inherence for all grades and ranks of preventive health, and brought to light the pioneering role of Islam and Muslims in the Planning for and application of preventive health measures, as well as the determination of individuals upon whom the responsibility of the preventive healthy education falls.

The study also explored the intentions of Islamic Sharia', and discussed their concepts, ranks, and educational benefits.

The study also discussed the preventive measures that Islamic education took to protect man's health in terms of orders and restrains of Islam as depicted in worships, transactions, prohibitions within the framework of the five Islamic Sharia' intentions which are: preserving of religion, soul, mind, procreation and wealth.

Preserving Islamic religion displays the protective effects of man's health which are reflected in the : [oneness of Allah (to Him belongs might and majesty), A-Salat (Prayer), Al-Zakat (The Poor Due), Al-Siyam (Fasting), and Al-Hajj (The Pilgrimage) and believing in God and His angels, holy books, messengers, the here-after and destiny.

The study explained the interest of Islam in the human and his, that is to well-being through, prohibiting murder, suicide, and in taking protective measures to ensure that. It also illustrated Islam's interest in developing and protecting the human mind from any negative effects of wine, drugs, psychological diseases, and deviate thoughts.

The study displayed the protective procedures of preserving procreation intention and guarantee its continuity and expel anything that may weaken or perish it, and circle it with several protective legislations and educational supports.

The study ended by the intention of saving wealth. It explained the relation between wealth and the preservation of man's health in that it abstains illegal attaining from Riba or usury. The struggle against poverty and the beneficial and protective limitations of proper saving and expenditure are discussed.